

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

السنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تشرى دمشق مرة في الشهر

تشرين الثاني و كانون الأول سنة ١٩٣٧ م

شعبان ورمضان سنة ١٣٥٦ هـ

دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ١٥٠ قرشاً سورياً
الدفعة مقدماً } وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً

بجاميع المجلة عن السنين الماضية

من السنة الاولى الى السادسة	٦	كل سنة منها	في الداخل	٢٥٠
السابعة الى الثانية عشرة	٥	في الخارج	٤٠٠	
الاولى الى السادسة	٦	في الداخل	٢٥٠	
السابعة الى الثالثة عشرة	٥	في الخارج	٤٠٠	

مطبعة ابن زيدون * بدمشق



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net



نهضة العرب العلمية

في القرن الاخير

محاضرة الامير شكيب أرسلان

بیتنا

مراجعة

لقد تكلمنا منذ أيام في النادي العربي عن نهضة العرب السياسية وسيرهم في طريق الاتحاد فيما بينهم اقتداءً بغيرهم من الامم اللاتي كن مفسكات وبعثرات ، فمازلن يسعين في الانضمام إلى أن أصبحن كتلة واحدة . ونحن نتكلم الآن عن نهضة العرب العلمية التي هي في الواقع أساس النهضة السياسية مختارين لهذه المحاضرة مكان المجمع العلمي^(١) الذي هو المنبر الطبيعي للمباحث العلمية كما اخترنا النادي العربي منبراً للكلام عن الوحدة العربية التي هي من مباحثه ، وإنما كان الفرق بين الباحثين أتب الواحد منهما سياسي صرف لا يجوز الخوض فيه إلا بالمقدار الذي تسمح به المصاححة ، وأن الآخر علمي بحت يقدر أن يستقصي فيه الباحث ما شاء دون أن يتعرض لمحدور أو يعرض امته لضرر ، وبهذه المناسبة أعلن أنني آسف بل جد آسف من أن أرى بعض اخواننا معتقدين

(١) من غريب الاتفاق أن يلقى الامير العلامة هذه المحاضرة الجامعة في المجمع العلمي في المكان الذي اجتمع فيه لأول مرة في مستقبل شبابه بمفتي دمشق الشيخ محمد المنيني الذي كان يقطن يومئذ في المدرسة العادلية التي كان له حق التولية عليها يومئذ .

ان الانسان إذا حضر في باب السياسة وجب عليه أن يفرغ جمعبته من أولها إلى آخرها ، وأن يجهر بكل ما يدور في خلدك كما لو حضر في باب العلم ، فهذا لا شك مذهب من يسميه الافرنج « بالولد الهائل » ومن ليس في الواقع جديراً بأن يطرق باب السياسة أصلاً بل بين هذا والسياسة ما بين المشرق والمغرب ، فنحن لا نرضى أن نكون من الأطفال الهائلين ولا من الذين لا يعرفون إلى أين يذهب الكلام ، بل نحن والله الحمد من أمة اشتهرت بالبرونة والدهاء وسرعة اللحظ وقد جاء في أمثالها : اللبيب من الاشارة يفهم ، ولقد كان هادياً الأعمم صلى الله عليه وسلم إذا أراد غزوة ورى غيرها ، ومنا الذي يقول :

ومن لم يصانع في امور كثيرة يضرس بانيساب وهوطاً بمنسم
وقائل هذا البيت هو الذي قال فيه سيدنا عمر رضي الله عنه أنه أشعر العرب لقوله : ومن ومن ، ثم أبدأ بالكلام عن نهضة العرب العلمية فأقول :

منذ عشر سنوات (أي سنة ١٩٢٧) اقترح علي الطيب الذكر الاستاذ يعقوب صروف صاحب مجلة المقتطف الذي انتهت اليه رئاسة المجلات العلمية أن أكتب إلى المقتطف شيئاً في موضوع النهضة الشرقية في هذه الخمسين سنة الأخيرة ، فكتبت يومئذٍ فصلاً ظهر في أجزاء المقتطف من تلك السنة وراق العلامة المشار اليه كثيراً وقد بدأتها بما يلي :

لا حاجة بنا إلى القول بأن أجلى مجالي هذه النهضة كان في العلم والتعليم ، وعندى انه لانهضة اللام سوى النهضة العلمية فاذا وجدت هذه جاءت سائر النهضات من سياسية وعسكرية واجتماعية واقتصادية الخ . . . آخذاً بعضها برقاب بعض . فاذا قلنا إن الشرق الأدنى نهض نهضة علمية كفيينا تعداد سائر مظاهر نهوضه ومعارض رقيه ، لأن العلم وحده هو المفتاح وبه وحده الدخول إلى داخل البناء ، وكل نهضة لا يكون ظهيرها العلم فما هي إلا ساعة وتضمحل ؟ وقد يقال ان نهضة شرقنا هذه ضئيلة لا تستحق أن تذكر بالقياس إلى معالي الامم الراقية ، واننا لا نبرح متخلفين بمساوف شاسعة عن أمد أوربة وأميركة واليابان ، فلماذا نشغل أنفسنا بما لا يشغل حيزاً في التاريخ العام ؟ وعلي هذا نجواب أنه ليس العلم متعلقاً بالكمال

وحده ، ولا البحث موقوفاً دائماً على ما بهر النهى وبلغ سدره المنتهى ، وإنما العلم هو ما تناول الدرجات كلها الدنيا منها والقصوى ، والبحث هو الذي به توزن مقادير الاشياء وتحدد نسبة بعضها إلى بعض ونسبتها إلى الوقت ، ثم اننا إذا تحزبنا الحقيقة وجدنا الشرق العربي قد اجتاز في هذه الخمسين سنة في طريق العلم والحضارة الحديثة ما لم يتهيأ لأوربة أن تتجازه قبلاً في أطول جداً من هذا الرده من الدهر ، وذلك انه من الطبيعي أن يسهل على المتأخر ما لا يسهل على المتقدم ، لأن المتقدم قد يضطر أن يمهد الطريق ويسير ، وأما المتأخر فما عليه إلا أن يلحقه ويسير على طريق مدلل أمامه .

محمد علي الكبير مؤسس النهضة

فالنهضة الشرقية العربية - نسميها بالعربية إخراجاً لما سواها من نهضات الشرق كنهضة اليابان والصين في الشرق الأدنى بجذائنا - قد بدأت في الواقع منذ أكثر من مائة سنة لعهد محمد علي عزيز مصر فهو أول من لحظ الخطر الحائق من جراء جموده علي أساليب العمران القديمة وجعل نصب عينيه حديثاً الغرب في أساليبه الجديدة حتى يتأقن للشرق أن يقاتل الغرب بسلاحه ويدفعه عنه ويستقل بنفسه ، إذ كانت سنة الله منذ وجد العمران على سطح هذه الكرة أنه كلما تقوى جانب منها سطا على الآخر واجتاحه وضرب عليه الذلة والمسكنة .

فمحمد علي هو المؤسس الحقيقي لهذه النهضة الشرقية العربية ليس بوادي النيل فحسب بل في البلاد التي تجاور هذا الوادي المبارك وفي مقدمتها سورية ، وأول ما استنشق السوريون ريح الحضارة الحديثة إنما كان في زمن محمد علي وفي زمن غزاة ولده ابراهيم باشا للشام ، ثم انكفاً ابراهيم باشا إلى مصر سنة ١٨٤٠ وبقيت في سورية آثار الانتباه ونزعة التجدد ، وجد السوريون لا سيما أهل الساحل منهم ينشدون أسباب المدنية الغربية لما رأوا فيها من القوة والرفاهية ، وأنس المرسلون الامير كيون هذا الاستعداد في أهل سورية فأسسوا في بيروت كليتهم

الشهيرة التي كانت النيراس الاولى الذي استضاءت به سورية ، ولا يزال هذا النيراس يزهر في آفاق الشرق الى يومنا هذا . درأت امم اخرى (كالفرنسيين والالمان والطايمان والروس) ان ارض سورية غائلة جداً لبذور المعارف فبشوا فيها المدارس والكتاتيب وكل ذلك كان يبدأ في بيروت ثغر الشام البسام ، ففي بيروت والحق يقال ابتزغ زرع العلم العصري وأخرج شطأه ثم أنبت في جميع الشامات ثم فيما جاورها واستغاب واستوى على سوقه يعجب حتى الزراع الاوربيين انفسهم ، واضطرت الدولة العثمانية ان تفتح المكاتب الرشدية والاعدادية في سورية ، وأن تقبل كثيرين من شبانها في مكاتبها العالية في القسطنطينية فتخرج فيها ألوف من الناشئة منهم من تقلدوا مناصب ملكية أو عدلية ، ومنهم أطباء وصيادلة ، ومنهم ضباط نبغوا في الفنون العسكرية وامتازوا بين الأقران . ان ضباط العرب في العراق وسورية واليمن كلهم ممن تخرج في مكتب (بانغالي) في الاستانة ، وقد يزهدون على ثلاثة آلاف ضابط فيما يقال .

ومع ان النهضة العلمية في مصر لم يكن الاصل فيها لا السكينة الامير كية ولا السكينة اليسوعية في بيروت ولا مكاتب الدولة في الاستانة ، لا يتكران مصر كانت ميداناً لجياد القرائح السورية ، وأن أتبع الذين تخرجوا في بيروت إنما ظهروا واشتهروا وتعلقت قناديلهم بمصر ، هذا كما ان مصر على الشام فضل تخرج عدد لا يحصر من أبناء هذه في العلوم اللغوية والشرعية بالجامع الازهر وتخرج عدد كبير من أطباء سورية بالقصر العيني ، فما زال كل من القطرين المصري والشامي يشهد الواحد منهما الآخر في كل ضرب من ضروب الرقي العقلي ، وقلما جد في أحدهما شيء إلا سمعت رجع صده في الآخر . على ان النهضة الشرقية العربية وان كان قد ذر قرننا منذ قرن فأكثر لم تسر هذا السير الحثيث إلا في الخمسين سنة الاخيرة التي شهدتها كاتب هذه الاحرف بجميع صفحاتها ، وذلك لاني بدأت بالكتابة في الصحف ومرافقة الحركة العلمية في صيها منذ ٢٥ سنة متوالية ، فلي الحق إذا بان أدعي معرفة تاريخ هذه النهضة وما دخل فيه من التطورات على قدر ما يستطيع خادم امين للعلم زاول عمله في

مكافحة الجهل طوال مدة خمسين سنة دون أن يتخلف يوماً واحداً .

الصداقة

لا نزاع في ان الصحافة العربية قد كانت من أقوى عوامل هذه النهضة بما أثارته من الحركة الفكرية ونقلت من أخبار الغرب الناهض الى أهل الشرق النائم ، وقد كان بحسب معلوماتي ، وربما أكون مخطئاً في بعضها ، أول جريدة عربية صدرت في الشرق جريدة الوقائع المصرية بعهد محمد علي ، ولكن بقيت سورية مدة طويلة لا تصدر فيها جريدة ، ويقال ان اول جريدة صدرت في بلادنا هي جريدة « حديقة الاخبار » أنشأها خليل افندي الخوري من شعراء لبنان في وقته وذلك سنة ١٧٦٠م ثم اصدر المعلم بطرس البستاني الشهير نشرات وطنية في بيروت لذلك العهد ، ولم يلبث ان نشر جريدة اسبوعية باسم الجنة ، ثم جريدة يومية باسم الجنة ثم مجلة شهرية باسم الجنان ، وقد التزم هذه المادة في التسمية لمناسبتها مع اسمه « البستاني » ، وكان اليسوعيون قد أصدروا في بيروت جريدة باسم البشير تغلب عليها المباحث الدينية الكاثوليكية ، ثم أصدر القس لويس الصابونجي جريدة النحلة ، واصدر غيره جريدة اسمها النجاح ، واصدر الامريكيمون جريدة اسمها النشرة الاسبوعية ، ثم تحرك المسلمون فاصدروا جريدة سموها ثمرات الفنون ، وكانت تصدر بادارة الشيخ عبد القادر القباني ، وقد تولى تحريرها في البداية العلامة الشيخ يوسف الاسير ثم خلفه عليها العلامة الشيخ ابراهيم الاحدب الطرابلسي ، وهذا كله كان بين ١٨٦٠ و ١٨٨٠ اي في مدة عشرين سنة ، فوجدت في بيروت في ذلك العهد عدة مطابع ، وصارت تطبع الكتب العربية بعد ان كانت تطبع الكتب العربية منحصرأ في مطبعة بولاق المصرية وغيرها من مطابع مصر ، وكانت قد صدرت في الاستانة في اثناء حرب القريم سنة ١٨٥٥ جريدة مرآة الاحوال وذلك باسم الدولة وتولى تحريرها رزق الله حسون الكاتب الشهير ، وقد وقعت إلي عدة نسخ كانت باقية عندنا من تلك الجريدة فيها اخبار حزب القريم

وغيرها من الاخبار ، ومما اتذكره انه كان عند ذكر خديوي مصر يلقبه
بسعادة عزيز مصر ، واظن ان جريدة مرآة الاحوال هذه هي الجريدة العربية
الثانية بعد تقويم الوقائع المصرية ، وقد بقيت تصدر في عاصمة السلطنة العثمانية
عدة سنوات الى ان فر رزق الله حسون من الاستانة الى اوربة على اثر حادثة
جرت معه ، وقيل فيها انه اختلس مالاً للدولة فلاذ بالفرار ، وكان فارس احمد
فارس الشدياق في باريس فقدم الى الاستانة وانشأ جريدة « الجوائب » المشهورة
فكانت في وقتها أشهر جريدة عربية في العالم ، وكان لها مشتركون في جميع الاقطار
الاسلامية ، نظراً لبراعة كاتبها احمد فارس المعدود من اكبر كتّاب القرون
الاخيرة ، واما رزق الله حسون فبعد ان فر الى اوربة نشر كتاباً تحت عنوان
« النفثات » نال فيه من الدولة العثمانية ، ومن صاحب الجوائب ، فإشار هذا إلى
كتاب النفثات بقوله : « كان حسون لصاً وله سرقات ، فانقلب صلاحاً وله نفثات » .
واظنني غير محطى اذا قلت انه لذلك العهد او بعده بقليل ظهرت جريدة في
تونس اسمها « الرائد التونسي » وظهرت جريدة أخرى في مصر باسم وادي النيل ،
وربما يكون قد صدر في مصر جرائد أخرى لم أسمع بها ، ولست محاولاً في هذه
العجالة الاحاطة باسماء جميع الجرائد العربية التي صدرت وتوارىخ صدورها ،
فما انا اذكر الان اشهرها على سبيل التمثيل وأقول : انه لما انتشرت جريدة
الجوائب بمكان احمد فارس من علم اللغة وبراعة الانشاء وسعة المدارك كانت
عاملاً قوياً من عوامل النهضة العربية الاديوية ، وصار صاحبها يطبع في الاستانة
من نفائس الكتب العربية التي كانت مجهولة ، والتي اطلع عليها في خزائن
كتب القسطنطينية ما اعجب به العالم العربي كله لا سيما انه نشرها بطبع
الجميل ، وربما كانت خدمته للثقافة العربية بهذه المطبوعات في الدرجة الثانية
عن خدمة مطبعة بولاق ، واني قد ادركت ، وانا ابن ثلاث عشرة سنة أو
أربع عشرة سنة ، عهد احمد فارس في اواخر عمره وكان لا يزال ، وقد بلغ
من العمر عتياً ، يخدم هذه اللغة الشريفة التي كان من اعلامها ، ومن شاء ان
يعلم مدى براعة احمد فارس ومبلغ بلائه في سبيل اللغة العربية والوطن

العربي ٦ فليراجع مجموعة كنز الرغائب في منتخبات الجوائب فهي كتاب يحتوي على سبعة مجلدات لا يمكن أن يستغني عنه من أراد الاطلاع على الحركة العلمية العربية والحركة السياسية العالمية بين ١٧٦٠ - ١٨٨٠.

الحركة العلمية

ولنعُد إلى سير الحركة العلمية في سورية فنقول : انه إلى حد سنة ١٨٨٠ كانت الجرائد منحصرة في بيروت لا نثعدها إلى غيرها من مدن سورية ، ولم يكن في دمشق سوى جريدة رسمية للولاية باسم (سورية) وبعد ذلك بكثير أصدر مصطفى واصف جريدة اسمها (الشام) ، وبعده أصدر الاستاذ كرد علي جريدة سياسية في دمشق اسمها (المقتبس) ، وكذلك كانت جريدة رسمية لولاية حلب باسم (الفرات) ، وكل من جريدتي سورية والفرات كان نصفها بالتركي والنصف الآخر بالعربي وقبلاً كانت تنشر شيئاً خارجاً عن الأخبار الرسمية . وكانت في بغداد جريدة رسمية اسمها (الزوراء) على هذا النمط أيضاً . وأما بيروت فكانت لا تزال على تقدمها في طريق العلم والعرفان ، وأول مدرسة داخلية في بيروت كانت المدرسة الوطنية التي أسسها المعلم بطرس البستاني ثم أخذت كل طائفة من الطوائف المختلفة التي في ساحل سورية تؤسس مدرسة داخلية في بيروت ، فكانت للروم الكاثوليك مدرسة يقال لها (البطركية) وللموارنة مدرسة يقال لها (الحكمة) وللمسلمين مدرسة يقال لها المدرسة (السلطانية) تولى ادارتها مدة من الزمن العلامة الشيخ حسين الجسر الطرابلسي صاحب الرسالة الحميدية في التأليف بين العلم والدين ، وكان اليهود أيضاً أسسوا مدرسة داخلية باسم المدرسة (الاسرائيلية) كان يديرها زاكي كوهين .

وكان اليسوعيون قد أنشأوا الكلية (اليسوعية) مناظرة للكلية الامريكية ؛ وكان في لبنان مدرسة فرنسية في كسروان يقال لها (مدرسة عينطورة) انتفع منها كثير ممن اشتهروا في انقاف اللغة الفرنسية ، ثم شرع أساقفة الموارنة

يؤسسون مدارس لا ببناء طائفتهم فكانت مدرسة (قرنة شهبان) ومدرسة (غزير) لبني زوين ومدارس أخرى متعددة ، وقد كان للحوارنة من قبل هذا مدارس قديمة أكاديمية مثل مدرسة عين ورقة ومدرسة مارعبدا هرزيا ومدرسة مار يوحنا مارون ، وكان للكاثوليك مدرسة في الشوير ، وقد اطاعت على مطبوعات قديمة ترجع إلى مئة سنة أو أكثر جرى طبعا في كسروان بمطابع للحوارنة منها مطبعة دير سيدة طاميش ، وكان الحوارنة من القديم يطبعون بالعربية والسريانية .

ولا يجوز أن ننسى المدرسة التي قام بإنشائها الامير ملحم أرسلان بمساعدة سعيد بك تلحوق لطائفة الدروز في قرية عبية ، فقد كانت من أقدم مدارس لبنان يرجع تأسيسها الى سنة ١٨٦٢ .

وكانت تقبل الطلبة مجانياً لاعتمادها في نفقاتها على الاوقاف التي ألحقها بها الأمير المشار اليه ، ولما تولى قائممقامية الشوف ابن عمه الامير مصطفى زاد الاعتناء بها وانتدب لها من الأساتذة مثل العلامة الشيخ أحمد عباس البيروتي وأمثاله ، وهي هي نفس المدرسة التي يشرف على ادارتها الآن الاستاذ عارف النكدي مدير العدالة في الدولة السورية بما اشتهر به من الدراية والأمانة وعلو الهمة .

ثم نقول : انه كان ازدياد عدد الجرائد متساوياً مع ازدياد عدد المدارس فظهرت في بيروت بعد الجرائد المتقدم ذكرها جريدة لسان الحال لصاحبها خليل سر كيش وجريدة التقدم التي كان يتولى تحريرها أديب اسحق الكاتب المشهور في وقته ، وجريدة المصباح التي أنشأها المطران يوسف الدبس مؤسس مدرسة الحكمة ، وعهد بإدارتها وتحريرها إلى تقولا أفندي النقاش من أعضاء مجلس الامة العثماني ، وإلى بولس زين من ادباء الحوارنة ، وكانت مجلة المقتطف قد صدرت في بيروت لصاحبها العلامتين الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر ومن أول نشأتها كانت مجلة راقية حافلة بالفوائد العلمية والصناعية والتاريخية واللغوية . وما لا جدال فيه ان للمقتطف أثراً بايعاً في عموم النهضة العربية ولا ينكره إلا كل مكابر - ومن مساعي العلامتين الشهيدين صروف ونمر تأسيس مجمع عالمي

في بيروت سموه المجمع العلمي الشرقي قد ضم نخبة العلماء والادباء الذين كان يشار اليهم بالبنان في ذلك الوقت ، ولم يكن هذا المجمع أول مجمع علمي في بيروت بل قد سبقه جمعية علمية تأسست قبل ذلك بنحو من عشرين سنة ، كان رئيسها الأمير محمد الأمين أرسلان ، وكان من أعضائها الشيخ يوسف الأسير والشيخ ابراهيم الأحذب والشيخ ناصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني صاحب دائرة المعارف والسيد حسين بيهم وسليم أفندي رمضان وغيرهم من علماء ذلك الوقت وأدبائه .

وفي نواحي سنة ١٨٨٤ فيما أتذكر كان الشيخ عبد المجيد الخاني الاديب الدمشقي البارع جاء إلى بيروت فذكر ما رآه فيها من الرقي الفكري وسرد اسماء جرائدها نظماً فقال :

ثمرات مقتطف الجنان بشيرها بلسان مصباح التقدم قائل

ظل المعارف وارف في أرض بيرو تورهط الفضل فيها قائل^(١)

ثم أنشأ علي بك ناصر الدين مجلة اسمها الصفاء صارت فيما بعد جريدة سياسية ولا تزال إلى هذا اليوم قائمة حق القيام بخدمة العلم والادب ، وقد كان لي فيها أول مقالة صدرت من قلمي وذلك سنة ١٨٨٥ ، وأصدر عبدالقادر أفندي الدناجرادة باسم بيروت كان يكتب فيها الاستاذ البليغ السيد مرثضى الجزائري ابن أخي المغفور له الامير عبد القادر .

ثمانون جريدة في سورية

ولكن عدد الجرائد لم يزد هذا الازدياد الرائع إلا بعد إعلان الدستور العثماني ، ومن قبله صدرت جريدة طرابلس التي كان ينشئها الشيخ حسين الجسر ، ولم يكن جريدة سواها تصدر في غير بيروت من مدن سورية إلا انه لما اعلان الدستور العثماني ونقررت حرية الصحافة أخذت الجرائد تنتشر بسرعة عظيمة فلما نشبت الحرب الكبرى كان ينشر في سورية وفلسطين ثمانون جريدة

(١) الاولى من القول والثانية من القبلولة .

موزعة بين بيروت ولبنان ودمشق وطرابلس واللاذقية وحمص وحماة وحلب
 وصيدا وحيفا ويافا والقدس ، وكانت تظهر في هذه البلاد مجلات شهرية
 واسبوعية لا تقل عن بضع عشرة مجلة ، ولا نجد لزوماً لسرد أسماء جميع هذه
 الجرائد وهذه المجلات . وهذا أول دليل على سرعة الرقي العلمي في سورية ،
 وليس في الكلام أفصح من الأرقام ، فوفرة الجرائد دليل على وفرة عدد
 القراء ، ووفرة عدد القراء دليل على صدق عمل المدارس ، نعم انه لا يزال
 عدد الاميين كثيراً في هذه البلاد وربما بلغ مع الأسف ٦٠ بالمائة ، ولا يمكن
 المظنون بحسب ما نراه من إقبال الأهلين على تعليم أبنائهم أنه لا يمضي عشر
 سنوات حتى ينزل عدد الاميين الى ٢٠ بالمائة . وقد كان في بيروت بضع عشرة
 مطبعة فتضاعف هذا العدد مرتين وثلاثاً ، وتأسست مطابع كثيرة في سائر
 المدن السورية ، وليس عمل هذه المطابع كله منحصراً في طبع الجرائد بل
 هي تقوم بطبع الكتب التي لا تطبع إلا إذا كان أصحاب المطابع يجدون لها
 عدداً كافياً من المشترين . وان مكانة الصحافة الآن في سورية ولبنان بالقياس
 إلى عدد أهلها لا تقل عن مكانة الصحافة في اوردية ، فاما في مصر فما لا شك
 فيه ان الصحافة أرق منها في سورية لأن ثروة مصر أعظم من ثروة سورية
 بكثير ، وقد كان في أثناء ثورة عرابي باشا أي سنة ١٨٨٢ يصدر في مصر
 بضع جرائد لا غير منها الاهرام واللطائف والمنفيد وغيرها ، فما زال عدد الجرائد
 يرتقي إلى أن تضاعف مراراً ، وان بعض جرائدها اليومية تصدر بثماني
 صفحات أو ست عشرة صفحة . ومنها جرائد مصورة كثيرة وربما تطبع
 الواحدة من جرائد مصر الكبرى من ٣٠ إلى ٤٠ الف نسخة وقد أكد لي
 أحد الأخباريين الاوربيين الذين يرسلون الاهرام من امهات الجرائد المصرية
 أن هذه الجريدة لو وضعت في جانب صحف باريس في الاتقان وسعة النفقات
 وكثرة القراء لكأنت معادلة لأحسنها .

ولما كانت الامثال أحسن مظهر لحقائق الاشياء وأبلغ مؤثر في النفوس
 رأيت الآن إيراد مثال وقع معي ، و كنت قد ذكرته في مجلة المتتطف ، ومنه

يتبين الفرق الهائل بين حالة الصحافة في مصر منذ ٤٠ سنة وحالتها منذ
عشرين سنة :

قلت في المقتطف : اني كنت زرت مصر سنة ١٨٩٠ ، و كذا نجتمع في
مجلس الامام الشيخ محمد عبده ، و أكثر ما كنا نسمع عند سعد باشا زغلول
وهو يومئذ سعد أفندي زغلول وكان من المحامين المشهورين بمصر ، وكان
ينتاب تلك الحلقة شيخ شخت الحلقة اسمه الشيخ علي يوسف ، إذا أتى جلس في
آخر المجلس سا كذاً ولبث أكثر المجلس مستمعاً تكاد ترثي له لضعفه ولمسكنته ، وكان
قد بدأ باصدار جريدة اسمها المؤبد كانت تظهر مرتين بالاسبوع وهو يعجز أن
يجعلها يومية إلا أن هذا الرجل على ضؤولة جسمه كانت بادية عليه سياء الهمة
والعزم فزرتة مرة في مطبعة المؤبد فرأيتته جالساً على مقعد رث لا يسع أكثر من
ثلاثة جلوس بعضهم ملزوز إلى بعض ، وأمامه منضدة بدون غطاء عليها من
يقع الخبر ما يهول الناظر وهو يعالج تحرير مقاله في دخول العام الهجري
الجديد حينئذ ، ولا يعرف كيف يصوغها و ذات بجانب الغرفة غرفة ثانية فيها
المطبعة ، وبين الغرفتين باب مفتوح وأنا من مكان جلوسى أرى منضدى
الحروف من خلال ذلك الباب يصفون الحروف ، ثم اني رأيت الشيخ علياً
في تعب زائد مع مقاله هذه عن الحول الجديد ، وهو يكتب ويطاس
وتمحو فقلت له : لو قلت كذا وكذا ٠٠٠ فأجابني : بالله عليك تكتب أنت هذه
الانتاحية فكتبتها أمامه ، هذا وبعد ٢٠ سنة من ذلك العهد جئت إلى مصر ،

المؤبد تطبع ٣٠ الف عدد

وأنا ذاهب إلى حرب طرابلس فماذا وجدت ؟ وجدت جريدة المؤبد من
أعظم الجرائد اليومية في مصر تطبع في كل يوم من ٢٠ إلى ٣٠ الف نسخة ،
ووجدت إدارة المؤبد تكاد تكون قصرأ من قصور الامراء فيها الزرابي المبخوثة
والطنافس الحريرية الفاخرة بدلاً من ذلك المقعد الحقير ، عليه ذلك الغطاء

القديم من الشيت بدون حشوة ، ووجدت مطبعة بخاربه من أكبر المطابع كان صاحب المؤيد اشتراها بخمسة آلاف جنيه ، مع أن تلك المطبعة القديمة التي رأيتها من قبل ما كانت لتساوي ١٠٠ جنيه .
ثم وجدت الشيخ علي يوسف نفسه من أكتب كتاب مصر وأسياهم قلما ، فضلا عن اني وجدته عيناً من أعيان مصر وأشهرهم ذكراً ، ولم يغفل الشيخ عن أن يذكرني بزيارتي الاولى عندما كان على تلك الحالة الرثة ، وأت يقابل بها حالة الترف التي رأيتها عليها يوم زيارتي الثانية ، فهذا المثال البارز كافٍ لقياس درجة الرقي الفكري في الشرق^(١) .

انتقال الصحافة في العالم الاسلامي

ولقد كانت الصحافة العربية فيما مضى منحصرة في القطرين المصري والشامي فصارت الآن منبثة في جميع الأقطار العربية ، ففي العراق بضع عشرة جريدة ومجلة منها ما هو في بغداد ومنها ما هو في البصرة ، وكذلك ظهرت جرائد في الحجاز قد كان أولها جريدة القبلة في زمن الملك حسين ، ولما استولى ابن سعود على الحجاز استبدل بها أم القرى ، ثم ظهرت جريدة اسمها صوت الحجاز في مكة وجريدة ومجلة في المدينة المنورة ، وصدرت جريدة الايمان للحكومة اليمنية في صنعاء ، وصدرت جرائد عربية وراء البحار أشهرها جريدة حضرموت في جاوة ، كما انه يوجد في الهند مجلة عربية اسمها الضياء للاستاذ مسعود الندوي .

أما في المهجر فان للعرب نحواً من ٣٠ جريدة ومجلة : منها ما هو في أمريكا الشمالية وما هو في أمريكا الجنوبية ، وفي المهاجر العربية هناك من الكتاب (١) لا حاجة بنا الآن إلى سرد أسماء الجرائد المصرية الكثيرة ولا إلى سرد أسماء الجرائد السورية الصادرة في دمشق وحلب وبيروت وفلسطين ولا إلى ذكر المجلات الشهيرة كالمقتطف والهلال والرسالة وأمثالها ، فان الأعلام الشهيرة لا تعرف ولا تحتاج إلى تعريف .

والشعراء والادباء والأطباء والفلاسفة تفر تفخر بهم أوطانهم ، وهم جزء متمم للعالم العربي الادبي لا يتم إلا بهم ، واني اشبه الجاليات العربية في وسط هاتيك الامم الاجنبية التي تحصى بمئات الملايين بجزائر عربية صغيرة في أرقيانوس من العجمة لانهاية له ، وقد احتفظت مع ذلك هذه الجزائر الصغيرة بلفتها العربية وآدابها وأذواقها ومنازعتها ومشاربها ، وهذا لعمرى برهان الاصاله والنباله وعلو الهمة ، فان الذي ينجل بوطنه وقومه ليس بانسان ، وفي نيويورك شارع كبير خاص بالعرب تجدد فيه علي أبواب المخازن العناوين العربية فوق الانكليزية ، وتنظر المطاعم العربية التي تطهو من المآكل الشرقية المتنوعة ما يكون قد درس بتمامه في البلاد العربية الأصلية .

وانك لتسمع الموسيقى ثمة العربية كيفما توجهت سواء من المغنين أو من الآلات الحاكية ، وإذا نظرت إلى النوافذ وجدت فيها الأصص من الفخار فيها الرياحين وأكثرها من الحبق الذي يقال له الريحان في دمشق وفي لبنان الحبق ، ويظهر أن العرب يأخذون هذه الريحانة أينما ذهبوا في الأرض ، فأني قد وجدتها بكثرة في اسبانية وهي حافظة اسمها العربي فيقول لها الاسبانول « هبقة » أي حبة ، ومن غرائب ما سمعته عن اعتصام السوريين بعاداتهم القومية وهم في المهجر أن كثيرين منهم يسكنون في حارات على حدة ، وربما بنوا قري منفردة لأنفسهم ، وذلك ليكونوا أحراراً في ممارسة عاداتهم التي كانت لهم في بلادهم الأصلية ، فاذا حصلت أعراس عندهم حسبتها واقعة في نفس سورية بما فيها من الأغاريد والأناشيد والزغاريد وما يقال له في لبنان « التراويد » ، وقد حضرت في نيويورك عرس فوزي بك البرهدي من زحلة ، وقد اجتمع فيه أبناء العرب فخلت نفسي في زحلة أو في أية بلدة من لبنان وكذلك قيل لي انهم في الاماكن التي يسكن فيها السوريون على حدة يمارسون عاداتهم الأصلية بالمآتم فتندب النساء من جهة حول الميت ويندب الرجال من جهة أخرى ، وهم يذهبون ويحيثون وبأيديهم المناديل يهزونها في الهواء وهي ما كان العرب يقولون له المآلي واحدها مثلاة ، إلا أن بقاء هذه الحالة عند

السوريين المهاجرين لا يعدو العصر الحاضر ، لأن أعقابهم مع الأسف ذائبون إلا ما ندر في الجنسية الأمريكية ، وقلما رأينا من ذرائعهم المولودين في أمريكا من يعرف اللغة العربية لا سيما الذين أمهاتهم من هناك ، وقد عالج بعضهم هذه الحالة وحاولوا استبقاء اللغة العربية بين المولودين في أمريكا من أبنائهم ، وفتحوا مكاتب وكتاتيب علمت بوجود اثنين منها في ديترويت ميشيغن ، وأحدثوني عن غيرهما ولكن هذا العوز لا ينسد مع الأسف ببضعة كتاتيب ، فالسوريون الذين في أمريكا الشمالية يزيدون على ٢٠٠ الف نسمة ، وهم في الأمريكتين جميعاً أكثر من نصف مليون .

وقد قيل لي : إن أعلى المهاجرين العرب همماً من جهة الاحتفاظ بلغتهم هم مهاجرو العرب في البرازيل الذين عندهم مجلات راقية وجرائد مفيدة كما يوجد مثل ذلك في نيويورك ، ولم يقتصروا في البرازيل على بعض الكتاتيب لاستبقاء عروبة بابنائهم ، بل أسسوا هناك لهذا الغرض مدارس عالية ، يدرس الطلبة فيها العربية الفصحى في جانب اللغة البرتغالية التي يتكلم بها أهل البرازيل ، أما إذا بقيت أبواب الهجرة مسدودة على العرب في أمريكا الشمالية فلا يضي عليهم هناك أكثر من نصف قرن حتى ينقرض منها مع الأسف كل شيء ، أصله عربي ، ويصير وجود العرب في تلك القارة خيراً من الأخبار التاريخية .

الصحافة العربية في شمالي افريقية

ولنعد إلى حديث الصحافة العربية الذي كنا في صدده فنقول : إن شمالي افريقية قد نهض في العصر الحاضر نهضة أكيدة ، وكثرت فيه الجرائد العربية والمطابع وسائر أدوات النشر التي تعول عليها كل امة ناهضة ، ولم يكن في بادئ الامر بغير تونس جرائد عربية مغربية ، وقد تقدم ذكرنا لجريدة الرائد التونسي التي كانت تصدر فيما أذكر من قبل احتلال فرنسا لتونس أي منذ ستمين سنة وبعد ذلك صدرت في تونس جرائد اخرى ، وفي يومنا هذا تصدر في تونس عدة جرائد ومجلات راقية كالزهرة والنهضة والصواب والمجلة الزيتونية وغيرها

وأما الجزائر فقد كانت تصدر فيها منذ خمسين سنة جريدة عربية واحدة اسمها المبشر ، وأظنها كانت الجريدة الرسمية للحكومة إلا أن الأهالي منذ بضع عشرة سنة نشروا جرائد متعددة في مدينة الجزائر وفي قسنطينة أتذكر منها « البلاغ » « ووادي تراب » ، وأما اليوم فمن أشهرها جريدة البصائر ومجلة الشهاب ، ولم يقتصر اخواننا التوانسة والجزائريون على نشر أنفكارهم في الصحف العربية التي أصدروها ، بل لأجل إمكان تفاهمهم مع الفرنسيين المحتلين لبلادهم وللمطالبة بحقوقهم عمدوا إلى نشر جرائد وطنية عربية اسلامية باللغة الفرنسية وذلك على نسق مجلتنا العربية المنهج الافرنسية المنهج « لانا سيون آراب »^(١) ومثل ذلك وقع في المغرب الأقصى الذي كانت السلطة مانعة فيه الأهالي الوطنيين من نشر الجرائد بتاتاً ، خلافاً للجانب فقد كان ولا يزال يؤذن لهم في ذلك ، بل كان محظوراً إدخال الجرائد العربية الصادرة في البلاد الاخرى إلى المغرب ، وربما عوقب من وجد قارئاً لجريدة كهذه ، إلا أن الاهالي لم يزالوا يعترضون على السلطة من أجل هذا الضغط الشديد على حرية القراءة في بلادهم حتى سمحت من سنوات لبعض الادباء بإصدار مجلة علمية في الرباط اسمها المغرب أذنت لها في الظهور على شرط أن تكون موالية للحكومة فاضطر الحزب الوطني في المغرب إلى إصدار مجلة افرنسية في نفس باريس باسم المغرب Magreb جعلوا ادارتها بيد ضيف سورية الحالي روبر جاب لونغة^(٢) الذي جاهد هو وأبوه كثيراً في النضال عن المسلمين الذين تحت حكم فرنسا وفي منحهم جميع الحريات التي لهم الحق فيها ، فلما ظهرت مجلة مغرب ، وأقبل شبان ذلك القطر العزيز ينشرون فيها باللغة الافرنسية من المقالات القيمة والآراء السديدة ما أحدث تأثيراً عظيماً في نفس باريس ، انتقمت الساطة من تلك المجلة بمنعها من دخول المغرب نفسه ، فأصبحت في المقيم المتعد مع الوطنيين

(1) La nation arabe

(2) Robert Gean Longuet

الذين كانت ترأسهم عصبة العمل القومي ، ومنذ سنتين تمكن السيد محمد ابن الحسن الوزاني من زعماء النهضة الوطنية في المغرب من إصدار جريدة في فاس باللغة الفرنسية سماها عمل الشعب^(١) وجعل مديرها افرانسياً حتى لا يتمكن الساطة من تعطيلها ، فلما ظهرت هذه الجريدة وأخذت تناضل عن حقوق الأهلين وتناقش بشدة الصحف الفرنسية الصادرة هناك ، أمرت السلطة بتعطيل هذه الجريدة خلافاً للقانون ، فبقي أهل المغرب يثنون من هذا الضغط إلى أن تولت فرنسا ولله الحمد الوزارة الشعبية في السنة الماضية فراجعتهما عصبة العمل القومي في موضوع حربة الاجتماع والكتابة . وما زالت المراجعات مستمرة باصرار الى أن أذنت السلطة لعصبة العمل القومي باصدار جريدتين احدهما بالعربية اسمها الأطلس يتولى تحريرها السيد محمد اليزيدي ، واخرى بالفرنسية اسمها العمل الشعبي^(٢) يحررها السيدان أحمد بلالفرج وعمر عبد الجليل من زعماء الحركة الوطنية المغربية ، وصدرت أيضاً جريدة عمل الشعب للسيد محمد بن الحسن الوزاني ، وجريدة اخرى بالعربية يقال لها الوداد كما انه صدرت في تطوان من المنطقة التي يحتلها الاسبانيون جريدة الحياة للسيد عبد الخالق الطوريس ومجلة السلاح للسيد محمد داود ، وأما في طرابلس الغرب فلم يكن أيام الدولة العثمانية غير جريدة الولاية الرسمية وفي الوقت الحاضر توجد جريدة للحكومة في طرابلس واخرى في بنغازي ، ولكن الطرابلسيين يقرؤون الجرائد العربية التي ترد اليهم من الشرق والغرب بلذة زائدة ولا عجب فان علاقاتهم من جهة الشرق مع مصر والشام ومن جهة الغرب مع تونس هي علاقات أقطار شقيقة ، وفي زنجبار من شرقي افريقية مطبعة سلطانية من قديم الزمن ، اطلعنا على كتب مطبوعة فيها ، ومؤخراً وصلت اليها جريدة عربية صادرة في جزيرة زنجبار هذه .

فهذه هي لمحة دالة عن الصحافة العربية في الخمسين من السنين الاخيرة

(1) L'action du peuple

(2) L'action populaire

لا نزع فيها الاحاطة وإنما نجتزئ بالاشارة التي تعطي القارئ صورة صحيحة عن هذا البحث وبالجملة فالصحافة العربية كانت من أعظم عوامل نهضة العرب ولا تزال نتقدم الى الامام .

المدارس في العالم العربي

ان الجرائد ليست وحدها هي المقياس الكافي لاجل إعطاء صورة صحيحة عن درجة الرقي ، بل المقياس الاكبر هو المدارس ، فمدينة بيروت مثلاً وعدد سكانها نحو من ٢٠٠ الف نسمة فيها من المدارس والجامعات ما لو قرنته بجامعة أوروبا ومدارسها لم تكن قاصرة عنها ، وربما كانت زائدة عليها إذا روعيت نسبة عدد السكان . وقد كنت منذ ٢٥ سنة في مدينة نابلس التي لم يكن أهلها يزيدون على ٢٥ الف نسمة ، فبحثت عن عدد المعلمين في هذه البلدة فكانوا ٢٠٠٠ من الأحداث في المكاتب الاميرية ، وأحصينا عدد طلاب المدارس العالية في الاستانة فبلغوا مائة شاب ، فإذا نظرنا إلى عدد أهالي نابلس وجدنا عدد طلاب العلم من أهلها لا يقل عما يجب أن يكون في أية بلاد راقية ، وليس هذا المثال وحيداً في بابها ، بل له أمثلة كثيرة في سورية وان كنت لا أزال أتأسف من بقاء الامية في البلاد الى هذا الوقت أكثر مما كنت أظن وذلك بغلبة البوادي والقرى المفتقرة إلى التعليم ، ولم يكن هذا كله من نصير الحكومة وفقد ارادة العمل ، وانما للميزانية المالية العمومية دخل في نزول درجة التعليم عما يجب أن تكون ، ومن الغرب ان الامية في مصر لا تزال أكثر منها في سورية بالرغم من ان بين القطرين بوناً شاسعاً في درجة الثروة ، أما تقدم التعليم في سائر البلاد العربية فأكثر مما برز منه للعيان بمدة قصيرة هو في المملوكة العراقية لا سيما بعد ان حصلت على استقلالها ، فانه في وقت قصير أنشئت في العراق عدة مدارس عالية كدار المعلمين في بغداد والموصل ومدرسة الطب والثانوية المركزية وعدة مدارس ثانوية متوسطة ، وعدد لا يحصى من المدارس الابتدائية ، وفي العراق المدارس المسماة (رياض الاطفال)

كثيرة وهي أرقى من أمثالها في سورية ، والفضل يرجع في القنان هذه الرياض الى المرني العربي الكبير الاستاذ ساطع الحصري ، ثم قد بلغني أن الكتبية من القاهرة وغيرها يصدرون كل سنة مقادير جسيمة من الكتب المدرسية الى العراق وان هذا يزداد عامًا فعامًا .

أما في سورية فجامعتها العلمية تتألف من كلية الطب وكلية الحقوق والمدرسة التجهيزية الكبرى للبنين ، ومن فروعها دار المعلمين الابتدائية والعالية ، ومدرسة تجهيزية اخرى للبنات وفيها دار للعمليات أيضًا ، ومدارس ابتدائية كثيرة ، وفي حلب مدرسة تجهيزية ومثلها في دير الزور ومثلها في حماة واخرى في حصص ، ولو كانت الميزانية المالية كافية لقطعت سورية في أقصر وقت أبعد مرحلة في طريق التعليم ، وهذا ما نأمل الوصول اليه في غير بعيد من الزمن ولا سيما بعد أن نالت البلاد استقلالها فإنه لا يرجي نهضة علمية إلا بنهضة سياسية فإتقان توأمان دائمًا ، وقد بلغني من وزير المعارف الدكتور الكيالي أنه لما ضاقت مكاتب الحكومة في هذه السنة عن استيعاب جميع الاولاد الذين يرهد أهلهم إدخالهم فيها ، أوصى الوزير مديري المدارس الابتدائية بتسجيل جميع من يريد الدخول فيها ، كما أوصى مديري الكتائب الاهلية الحرة بأن يقبلوا كل من يأتهم على أن تؤدي اليهم الحكومة النفقات اللازمة ، فيقظة الامة ولا سيما بعد استقلالها الحديث غير محتاجة الى استدلال .

المجمع العلمي في دمشق ومصر

ولا يجوز لنا أن ننسى ذكر مجعنا العلمي هذا الذي كان أول مجمع على نسق اكاديميات اوروبية في الاقطار الشرقية ، فإنه يضم نيفاً ومائة عالم شرقي ومستشرق كلهم من ذوي الشهرة الطائرة سواء في الغرب أو في الشرق ، وللمجمع مجلة علمية من أرقى ما صدر من المجالات في العربية وأدقها بحثاً وأحسنها اسلوباً وأجمعها للنوادر وأحفلها بالفوائد ، ولا يستغني متخصص في العربية

إذا أراد جد الاطلاع تلميها عن اقتناء مجموعة هذه المجلة منذ صدورها ، وقد سبقت سوربة مصر في تأسيس هذا المجمع ، ولكن مصر عادت فسدت هذا العوز بتأسيس مجمعها الحالي ، فكلا المجمعين الشقيقين يخدم هذه اللغة الشريفة وثقافتها بكل ما أوتي من قوة ووسائل . ولنا الأمل بأن يسير المجمعان معاً الى الامام خطوات واسعة ، وان حكومتى القطرين تشد أزرهما بالمالك الى الحد الذي يمكنها من القيام بخدمات جلى للعربية والعروبة كما هو الشأن في أكاديميات الممالك الاوروبية ، فان أمام العرب مهبات عظيمة في إثارة دفائن عقولهم وكشف دارس مدينتهم والتنقيب عن دقائق تاريخهم لا يقوم بها إلا هذه المجمع العلمية التي هي أيضاً لا تقوم إلا بتوفير أقطابها من الميزانية المالية ، ولست متعرضاً الآن الى الكلام عما قام به المجمعان الشامي وانصري من الخدمة اللغوية بإيجاد الألفاظ التي تقتضيها حاجة العصر ، وإحياء ما وجد منها في لغتنا بتطبيقه على المعاني المناسبة له ، فان من شاء أن يعرف طائلا من هذا الأمر يقدر أن يراجع مجلات هذين المجمعين .

وإنا نكون غفلنا عن الحق وأهملائنا جانباً إذا كنا لا نقول إنه في القرون الأخيرة لولا بقاء الأزهر والأموي والزيهونة والقرويين لم يكن بقى أثر من آثار اللغة العربية فضلاً عن الشريعة الاسلامية ، فهذه المساجد الأربعة هي التي في الدرجة الاولى قد وقت هذه اللغة من الدثور ، وهذه الشريعة من البوار ، وقد كانت الفوضى في القرون الأخيرة المذكورة قد نسفت عمران هذه البلدان إلا بقايا تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد ، وتسلبت على هذه الأقطار ولاية أتوا على الحرث والنسل ، وهدموا كل شيء وطمسوا كل رسم ، ومع هذا فقد بقيت هذه المساجد الأربعة بنوع خاص مع مساجد أخرى كانت تجري مجراها تقيم العربية على أركان ، وتصد غارات الجهل عليها وعلى الشريعة بقدر الامكان ، فكيف نثبت هذه الشريعة وهذه العزبية في وسط هذا الزوال . وكيف بقيتا في بهرة هذا الفناء مدة تزيد على أربعة أو خمسة قرون تعاور العالم الاسلامي فيها الانهيار من كل جانب ، ان هذا لعجب عجاب !

ولا شك أن ثبات الشريعة واللغة في وجه هذه الصدمات السياسية التي تدكدك الجبال هو الدليل الكافي على متانة أصولها ورسوخ قواعدهما وغزارة القوة الحيوية التي فيهما . وفي مصر عدا الأزهر معاهد كثيرة للعلم مثل الجامعة المصرية ومدرسة القضاء الشرعي ومدارس الحقوق والهندسة والزراعة مما لا يتيسر لي استقصاؤه الآن ، وإنما أشير إلى نتائجه الباهرة فإنه لا يكابر مكابر في أن الحركة السياسية الأخيرة التي جرت في مصر في الشتاء الماضي وانتهت باستقلالها بالرغم من معارضة الانكليز تحت مختلف العلى إنما كانت ثمرة هذه المدارس ، لأن الذين تولوا هذا الامر هم العشرة الآلاف طالب الذين ثاروا في القاهرة ثورة الرجل الواحد وتجزوا الاستقلال التمام لوطنهم تنجز المستميت بأذلين من دونه دماءهم بذل السخي لماله .

أثر الزيتونة والقرويين والاصوي

وكما قام الأزهر بالواجب الذي عليه في مصر وكان أشبه بالصخرة العالية التي كانت نتكسر عليها أمواج الجهل والفوضى كذلك كان جامع الزيتونة في تونس وجامع القرويين في فاس والجامع الأموي في دمشق ، ومنها ومن المساجد الأخرى خرج العلماء الأعلام والمصاييح الذين أناروا الاسلام في دياجي ذلك الظلام ، ومن هؤلاء أيضاً خرج أولئك العلماء الوطنيين الذين أرادوا ادخال العلوم العصرية في البلاد والتحقق بمعارف الاوربيين حتى لا يبقى الشرق مقصراً عن الغرب فكانت الجامعات والمدارس العصرية الكثيرة وكان إرسال البعثات العلمية الى اوروبة من أيام محمد علي إلى اليوم .

النهضة العلمية والدعوة الوهابية

ولا يظن ظان أن الحركة التعليمية في جزيرة العرب قد بقيت كما كانت عليه قبل ، فأما في نجد والحجاز فلا يخفى ان الدعوة الوهابية توجب حمل جميع الناس على التعليم بدون استثناء ، وهو عندهم بمقام الجهاد فتري المعلمين

والفقهاء يجوبون الحواضر والبوادي ويفتحون الكتابات الاحداث وربما شرقت قبائل من العرب وغربت والمعلمون معها حتى لا ينقطع التعليم بالرحيل ، فالامية في البلدان الخاضعة لسلطان ابن سعود ستكون نادرة ، ولكن يعترض بعضهم قائلاً :

ان هذا التعليم النجدي لا يساعد الرقي المدني بل هو من النمط القديم الجامد الذي ليس فيه كبير جداء لأهل هذا العصر ، وهذا القول مردود من وجوه ؛ أولاً أن النجديين يلتزمون تعميم القراءة والكتابة في البدو والحضر فزوال الامية هو بنفسه درجة عالية من العلم ، ثم انهم يحفظون الأحداث القرآن الكريم ويفسرونه لهم بعد رشدهم ، وأي كتاب حث على العلم والتعليم والسير والنظر أكثر من القرآن ، وأي كتاب قدس العلم والعلماء ونوه بالحكمة والحكمة أكثر من القرآن .

الاصلاح والعمران في المملكة السعودية

ثم ان منزع النجديين في الدين منزع إصلاح وترقية وتنقية ، ومشربه بعيد بالمرّة عن الخرافات فهو مشرب إصلاحي مستحب جداً في العصر الحاضر ، وإذا سألت الاوربيين أنفسهم قالوا لك : ان مثل هذا المشرب هو الذي فك قيود الافكار وحل عقال العقول في اوروبا . وكان فائحة عهد الارتقاء ، وكثيراً ما أطلق الاوربيون على الوهابيين لقب (بروتستان الاسلام) ، ثم ان هذا الملك عبد العزيز بن سعود امام الوهابيين القائم بتنفيذ مبادئهم لا يقف عن قبول أي علم نافع أو اختراع عصري مفيد ، فهو يجهز مملكته بجميع طرق العمران الحديثة ، وعنده التلغراف السلكي واللاسلكي في جميع بلاده ، وعنده التليفون والراديو ، وعنده السيارات الكهربائية تسير في طول البلاد وعرضها حتى صارت تلك الأرض الشاسعة تطوي طي السجل للكتاب ، ومن أعمال ابن سعود اعتناؤه بالصحة العمومية وتعويله فيها على الوسائل العصرية الحديثة ، وقد بدأ يستخدم الطائرات في الجيش ، ولو كانت ميزانيته المالية تأذن له في الاتفاق

كما يشاء لما سبقه في هذا الميدان سابق ، ولكانت الادوات العصرية في جيشه لا نقل عن مثلها في أي جيش اوروبي ، ولكن المال قوام الأعمال ، ثم إذا كان المراد من العلم والتعليم هو إيجاد الامنة في السوابل فلا يكون في هذا المعنى أرقى من مملكة ابن سعود لأن الأمن العام ضارب أطنابه في بلاده كلها وواصل الى الدرجة التي يتحدث عنها المؤرخون في الكتب بعد ان كانت تلك الصحارى أشبه بمسبعة تزار فيها الضواري من كل فج ، وبالاختصار فالوهابيون يقبلون كل إصلاح مالم يصادم الدين ، والعلم والدين لا يتصادمان في الحقيقة إلا عند من لم يحسن فهم كل منهما .

النهضة العلمية في اليمن

أما اليمن فانه يضارع مملكة ابن السعود في أمرين : عموم التعليم والامن الشامل ، فقد باغني انه لا يكاد يوجد في اليمن قرية تخلو من فقيه يعلم الأحداث القراءة والكتابة ، وانه لا توجد مدينة ولا قرية في اليمن إلا فيها حلقات تدريس للعلوم اللغوية والشرعية ، فالامية في اليمن نادرة ، نعم لا يوجد هناك من يعتني بالعلوم العصرية إلا نادراً وهي علة قد تراح قريباً ، لأن العلوم الادبية لا بد أن تثير حركة في الافكار وتجعل نهضة في النفوس ، وهذه من شأنها أن تهتم بنشدهان العلوم الطبيعية وذلك كما جرى في مصر والشام وغيرهما . هذا وامام اليمن يحيى بن محمد بن حميد الدين هو بنفسه عالم فاضل متبحر سيال القلم لا يغرب عن باله شيء مما يجب لترقية بلاده ، ولذلك نراه مهتماً بالمدرسة العسكرية التي في صنعاء ، وعنده معمل سلاح صغير شاهده بعيني انا وزميلاي هاشم بك الاناسي رئيس الجمهورية السورية والحاج أمين الحسيني مفتي القدس الشريف ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، وعلمنا أن هذا المعمل يقدر أن يعمل البنادق وعلف البنادق كما يصنعونها في اوروبا ، ورأينا مصنوعات هذا المعمل عياناً ، ولنا الأمل بان نتسع دائرة هذا المعمل ، وأن يتأسس في البلدان العربية معامل أسلحة كثيرة تكون وافية ببحاجات

أهلها ، ولا ننسى ان العراق والشام والمملكة السعودية هي في مقدمة الاقطار العربية التي تحتاج إلى مثل هذه المعامل ، لأن على العرب واجباً لا يجوز أن يغفلوا عنه طرفة عين ، وهو أن لا يكونوا عيالاً على اوروبة في التسلح فانه إن أمكنهم ذلك في زمن الحرب استطاعوا أن يدفعوا الأخطار عن بلادهم وخير للأرض أن تستغني بمائها عن مياه غيرها التي يجوز أن تنقطع عنها .

الشعر والشعراء

أما اللغة العربية من حيث هي ، فقد طارت في هذه الخمسين سنة الاخيرة بجناحين وصارت إلى جلالها الماضي وعنجهيتها القديمة فكثرت في السنين الاخيرة سواد الكتاب والشعراء حتى صاروا يحصون بالآلاف إن لم يكن بالآلاف ، ونبغ منهم فحول يقدر الانسان أن يلزمهم في صفوف المنشئين والشعراء من أهل القرون الاولى للاسلام عندما كانت اللغة في ابان سورتها فلا تنظر في جريدة إلا تجد فيها من النظم الفائق والترسل الرائق لشبان لم تسمع في عمرك باسمائهم ، هذا عدا المقلقين والعباقر الذين سارت بذكرهم الركبان وحفظ الرواة من شعرهم كما يحفظون شعر المتنبي وأبي تمام ، ولم يكن منذ خمسين سنة بمصر والشام والعراق ، والمغرب معشار العدد الذي نجده في يوم الناس هذا من هذه الطبقة الراقية في الادب منذ خمسين سنة أو ستين سنة فما قبل ، وكان إذا نبغ شاعر أو برع كاتب ضرب به المثل لتفردده وخلو الجو من حوله ، والحال انه لو نشرته اليوم من قبره ، وعرضته في الجمع لوجدت أمثاله يعدون بالعشرات ، وان كانت لا تزال له طلاوة ، فهذه الطلاوة لا ترتفع به إلى صفوف العبقرين وإنما تجعله في صف المجيدين ، وقد كنا في سورية لا نعرف شاعراً أحسن من نصيف اليازجي اللبناني الذي نبغ في بيروت وصارت له تلك الشهرة الطائرة باستحقاق ، وهو لو وجد في زماننا هذا لما كان إلا واحداً من جماعة ، وكان في بيروت من الشعراء المجيدين عمر الانسي البيروتي يقرأ الانسان

شعره بلذة وكان قبل الانسي واليازجي أمين الجندي وبطرس كرامة كلاهما من حمص ولهما قصائد كسبا بها شهرة لا تزال لهما إلى اليوم ، ولو انها عاشا في هذا العصر لم تكن لهما هذه الشهرة بالرغم من إجادتهما ، وعلو طبقتهما ، وقد سأل الامير بشير الشهابي أمير لبنان في وقته الشيخ أمين الجندي عن المعلم بطرس كرامة قائلاً له : ما نسبة المعلم بطرس اليك في الشعر ؟ فأجابته : نسبة الثعلب إلى الأسد ، ولم يكن هذا الجواب صحيحاً لان لبطرس كرامة من الشعر لا سيما في الغزل والنسيب ما لا يقل رونقاً عن شعر الجندي ، وكان في بغداد ثلاثة شعراء أو أربعة اشتهرت اسماؤهم في بلادنا مثل عبد الباقي العمري وصالح التميمي وعبد الحميد الموصلی وعبد الغفار الأخرس ، وكان أكثرهم شهرة عبد الباقي العمري وعبد الحميد الموصلی هنا بسبب مراسلاتهما مع نصيف اليازجي كما ان شهرة صالح التميمي كانت بسبب المناقشة التي وقعت بينه وبين بطرس كرامة ، وهذه الطبقة ، وإن كانت تعد من الطبقة العالية في الأدب ، فان الذين جاءوا بعدها ردها إلى الوراء فبعد أن كانت من الجليلين صارت من المصلين ، اللهم إلا إذا حسبنا الشاعر الارزي الذي لا يزل هؤلاء في قوته ، ومن قبله ابن معتوق الذي كان يضارع الشعراء الأولين . وأما في مصر فما بدأ الشعر ينهض إلا بنبوغ محمود صفوت وبعده محمود سامي وهو صاحب النهضة الشعرية الكبرى ، وقد أجمع مؤرخو الادب على أنه مجدد الشعر العربي في هذا العصر ، وأنه الذي أعاد اليه ديباجته الاولى التي كانت القرون الاخيرة لا تعرف منها شيئاً ، وما كان شوقي وحافظ وغيرهما من شعراء مصر الا مبعوثين في عالم الأدب بأنفاس محمود سامي العالية ، واليوم لا يكاد يحصى عدد المجيدين من شعراء مصر وأغرب منه نبوغ شعراء في السودان لا يقل شعرهم في الاجادة عن شعراء الأقطار العربية الاخرى ، وقد نبغ في تونس في القرن الماضي محمد قباد وهو صاحب تشطير (أنماط لو شهدت بطن خبت) الذي دخل فيه مدخلاً لا يفترق عن الاصل ، والذي له قصائد أخرى جياذ ، وجاء بعده شعراء في تونس لم أعلم منهم أحداً بلغ مداه ، وقد هبت

زيج الأدب في هذا العصر في أرجاء الجزائر والمغرب الأقصى ، وظهر شعراء
 و مترسلون يمكن ان يضعهم القارى في صعيد واحد مع شعراء الشرق ، ومهما
 قيل في ترقى الشعراء في هذا العصر الاخير فأعظم منه قد كان ترقى الكتابة
 التي لم نتقدم في فصاحة الالفاظ وتنقيح الجمل فقط بل علت ببلاغتها وحسن
 أسلوبها وتشعبها بالمعاني الكثيرة التي أوجدتها الحركة العلمية الحديثة فاديل
 من الصناعة اللفظية والسجع الرنان بالمسحة العلمية والانشاء المرسل الملائم ، وهذا
 النوع من الكتابة هو أصعب أنواعها لمن أراد أن يسحى كاتباً ، ولا نزاع في
 أن ترقى كل من فني الشعر والكتابة في الأدب العربي قد كان وليد النهضة
 العلمية العامة التي حملت المتأديبين على مراجعة أحسن ما كتب العرب وخلقوه
 في زوايا المكاتب فسمت لهم بسبب هذه النهضة العلمية إلى طبع الكتب
 التي لا تزال مجهولة ، أو مما ينحصر اقتناؤه في بيوت الأمراء والكبراء فصارت
 هذه الكتب من مثل ترسل ابن المقفع والجاحظ وأمثالها مشاعاً بين جميع عشاق
 الادب ، وكانوا كلما قرأوا كتب الاوربيين شعروا بحاجة الى مادة أغزر من
 اللغة العربية وأساليب أطلى وفنون أبداع ومجال أوسع فكان اللغات الاجنبية
 هي نفسها قد كانت الحافز الاعظم على اتقان العرب المحدثين للغتهم وارتوائهم
 من معينها ، ولا عجب في ذلك فالعلم يزيد بعضه بعضاً سنة الله في خلقه .

الفقه الا-اصمى وعلماء الدين

هذا ما كان من جهة الادب العربي ، وأما من جهة الفقه الاسلامي فلا
 نقدر ان نقول انه تقدم الى الامام بل رجع في الحقيقة الى الوراء وذلك
 باستثناء الناس عنه بعلم الحقوق منذ ترجمت الدولة العثمانية هذا العلم عن
 قوانين اوربة الى التركية والعربية ، ومن عادة الناس أن يكون اكثر انشغالهم
 بما ينفعهم في دنياهم ، وليس كل العلم طراز مجالس . نحن أولاء قد أدركنا في
 أواخر القرن الماضي طبقة عالية من علماء العلوم الشرعية في دمشق ، مثل الشيخ
 محمود الحزاوي والشيخ سليم العطار والشيخ بكرية العطار والشيخ سعيد

الاسطواني والشيخ الطنطاوي والشيخ علاء الدين عابدين والشيخ محمد البيطار وأخيه الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ طاهر الجزائري والشيخ عبد الغني الميداني والشيخ محمد الخاني والشيخ جمال الدين القاسمي وغيرهم ، وكان الناس يستفتونهم في النوازل ويعولون على آرائهم في الدين والدنيا ، فلما انتشرت العلوم العصرية ومنها القوانين الاوربية المترجمة التي عملت الدولة بها صار إذا مات واحد من هؤلاء الفقهاء لا يخلفه غيره ، وما زال الامر كذلك إلى ان كادت هذه الطبقة تنقرض بالمرّة ، وكذلك كان في بيروت الشيخ محي الدين اليافي والشيخ يوسف الأسير والشيخ ابراهيم الاحدب ، وفي طرابلس الشيخ حسين الجسر والشيخ محمود نشابة فمات كل هؤلاء ولم يخلفهم أحد ، وصار النبوغ للمحاميين الذين تخرجوا في المدارس الاوربية أو في مكاتب الدولة العثمانية ، والمحامون بمصر أكثر منهم بالشام لما في مصر من استبحار العمران . إلا انه نظراً لوجود الأزهر ومدرسة القضاء الشرعي في مصر بقي حملة العلوم الشرعية فيها أكثر منهم في سورية ، وكان الواجب على هذه الامة في كل قطر أن لا تهمل هذا العلم الذي هو من مفاخر الثقافة العربية ومن محاسن تاريخها والذي لا يستغني عنه المسلمون في المعاملات الدنيوية فضلاً عن المسائل الاعتقادية .

الطب وأطباء والصيدنة

وأما الطب فهو من العلوم التي يقوم عليها المشاركة أكثر من غيرهم ويوقفون فيها ، ومن الأطباء الشرقيين من يقيمون الآن في اوربة ويشتهرون بالنبوغ بين أهلها ، وقد كانت الدولة العثمانية من الدول الراقية في علم الطب حتى يقال انها في الدرجة الخامسة بالنسبة الى الدول الاخرى ، وقد نبغ فيها عدد كبير من الاطباء الجراحين يعدون في الطبقة العليا بالنسبة إلى أطباء اوربة وجراحيا أنفسهم منهم أتراك ومنهم عرب ومنهم أروام ومنهم أرمن ، ولا نقدر أن نقول أن سورية متأخرة في حلبة الطب هذه عن غيرها بل اني أتذكر انه لما نشبت الحرب

العامّة ، واحتاجت الدولة إلى أطباء لجيشها ساقّت إلى الجيش ٢٠٠ طبيب ذي شهادة من جبل لبنان وحده وبقي عدد كبير منهم في البلاد . واليوم قد ازداد هذا العدد على ما كان عليه قبل ، وبلغني ان في دمشق وحدها اليوم (١٥٠) طبيباً ، وانا نرى خريجي مدارس الطب من السوريين يتعاطون صنعتهم هذه في مصر والعراق والسودان والحجاز وغيرها ، وما يقال في الطب يقال في الصيدلة التي لها ممثلون كثيرون من أبناء سورية ، وكذلك بدأ كثير من الشبان يدرسون في أوربة علم الجراثيم (البكتريولوجية) .

مناخ سورية للبلاد العربية

وما من علم يجتد في أوربة إلا أقبل عليه الشرقيون كما أقبل الغربيون وأخذوا منه بنصيب ، فالمباراة إذاً جارية بكل ما يمكن من الهمة ، على أن سورية في علم الطب وتوابعه هي ذات المركز الاول في البلدان العربية ، وذلك لسبقها غيرها الى ورود حياض العلوم الكونية فلا مصر ولا العراق ولا جزيرة العرب ولا إيران ولا المغرب تضارع سورية في هذا الموضوع ، ولكن نحن على ثقة أن جميع البلاد العربية من الآن إلى ثلاثين وأربعين سنة تصير متساوية بعضها إلى بعض في درجة الرقي العلمي .

ومن العلوم التي يمتاز بها العرب ، ولا سيما السوريين منهم ، العلوم العديدة وقد نبغ الكثيرون ممن لا تقدر على احصاء اسمائهم نذكر منهم على سبيل التمثيل الشيخ محمد الطيبي في دمشق والمعلم بطرس البستاني والمعلم أسعد الشدودي في بيروت وغيرهم .

ولما كان السوريون من أقوى امم الارض على التجارة كانت علم الحساب من العلوم التي يتخصصون بها بطبيعة الحال ، وكذلك في مصر لا ينكر ترقى العلوم الرياضية التي مصر من مراكز ازدهارها بل تقدر أن تقول ان المهندسين فيها أكثر منهم عدداً في سورية نظراً لأن الزراعة في وادي النيل أرقى بكثير منها في سورية .

بقي علينا أن ننظر كيف يكون اتجاه الامة العربية في المستقبل من جهة الثقافة ! أتأخذ بالثقافة الغربية ولوازمها وامتدادها إلى النهاية أم تبقى معتصمة بثقافتها الشرقية الأصلية لا تبغي بها بدلاً ولا عنها حولاً أم تأخذ من الثقافتين معاً وتجعل من ذلك ثقافة خاصة لا شرقية ولا غربية ! هذا سؤال يرد كثيراً على خواطر الباحثين وكل منهم يذهب في الجواب مذهباً ، وأظن أن ثقافة العرب المستقبلية ستكون عصريّة آخذة من التجدد بأوفي نصيب لكن مع الاحتفاظ التام بالطابع العربي ، وهذه أشبه بما سبق للثقافة العربية في زمن بني العباس وفي زمن بني امية بالاندلس حينما نقل العرب حكمة اليونان إلى لغتهم واطاعوا على علوم فارس والهند فجعلوا من هذه الثقافات الثلاث ومن الثقافة العربية الأصلية ثقافة جديدة عالية كانت أرقى ثقافة في القرون الوسطى ، لكنها كانت زاهرة بطابعها العربي الذي لم يكن يفارقها بحال من الاحوال ، وهكذا ستكون ثقافة العرب بعد اليوم غير جامدة على القديم الذي ثبت للعرب المحدثين وجوب التعديل فيه والاضافة اليه ، ولن تكون منسلخة من القديم جاهدة في التبرؤ منه على النحو الذي نجاه الاتراك الكماليون الغالبون على تركية اليوم ، ولكنها تكون ثقافة جامعة بين القديم والجديد مختارة من كل شيء أحسنه مع بقاء الصبغة العربية التامة غير المفارقة للعرب ، وذلك على النحو الذي نجاه اليابانيون الذين اقتبسوا جميع علوم الاوربيين ولم يغيب عنهم منها شيء ، ولا فاتهم من صناعات أوربة دقيقة ولا جليل ، ولبشوا مع ذلك يابانيين أصلاء في لغتهم وأديبهم وطربهم وطعامهم وشرابهم وجميع مناحي حياتهم ، وحسب العرب قدوة للاقتداء ومثالاً للاحتذاء هذه الامة اليابانية العظيمة التي لا يوجد أشد منها رجوعاً إلى قديم ولا أخذاً منها بحديث .

والآمال معقودة بأنه ستكون في الشرق الأدنى نهضة عربية علمية تضاهي النهضة العلمية التي رأيناها في الشرق الأقصى .

لماذا تأخّر الشرق الأدنى عن الأقصى

وإن كان الشرق الأدنى قد تأخر عن الأقصى في درجة الرقي العصري فلم يكن ذلك كما يتوهم بعضهم من جمود الأمم الشرقية العربية ونفوق اليابانيين عليهم في حب العلم ونشدها وسائل القوة ، وإنما كان الموقع الجغرافي للبلاد العربية قد عرضها من هجوم الأجنبي وغازاتهم المتوالية لما لم يتعرض له اليابانيون بسبب نقاصي ديارهم وبعد مزارعهم بحيث خلاهم الجوع وتمكنوا من أن يتعلموا وبتمذبوا آمنين على حوزتهم ، وهذا فرق طالما غفل عنه الناس ولم يتفطنوا لخطورته ، فحملوا بسبب غفلتهم عنه على الشريعة الإسلامية وجعلوها ظالماً وعدواناً هي المسؤولة عن هذا التأخر ، والمسؤول الحقيقي في الواقع هو الاعتداء الأجنبي المتواصل الذي يئسر في الشرق الأدنى مالا يئسر في الشرق الأقصى ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

سكيب ارسلان



الصحافة في طرابلس الغرب

لما اطلع أحد ادباء طرابلس الغرب على محاضرة الامير نشسر في جريدة الجزيرة السكلمة الآتية ننشرها في مجلتنا إتماماً للبحث :

« قرأت في عدد ١٥ - ٧٠٥ من مجلتكم الغراء جزءاً من المحاضرة التي ألقاها في قاعة المجمع العلمي الدمشقي أمير البيان عطوفة الأمير شكيب أرسلان باسم النهضة العربية العلمية ، فوجدت ما نصه :

وأما في طرابلس الغرب فلم يكن أيام الدولة العثمانية غير جريدة الولاية الرسمية . وفي الوقت الحاضر توجد جريدة للحكومة في طرابلس واخرى في بنغازي .

مع أن الذي أعلمه يقيناً ان بطرابلس في العهد العثماني عدة جرائد كالترقي والمرصاد والرقيب والعصر الجديد وأبو قشة (هزلية عربية) وتعميم حزب هزلية تركية ومنشئها من طرابلس ، ومجلة باسم مجلة الفنون مصورة .

وفي العهد الايطالي بطرابلس جريدة العدل والرقيب العتيد وهي التي كان اسمها الرقيب في العهد العثماني ، والذ كرى .

وأما في بنغازي فقد صدرت منذ نحو سنتين مجلة مصورة باسم « ليبيا المصورة » زيادة على جريدة باسم برهد برقة .

ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة ان جريدة الرقيب التي سميت في العهد الايطالي بالرقيب العتيد كانت أرقى في العهد العثماني .

طرابلس مغربي

جولة في مدارس اليمن

ولما كان عطوفة الامير شكيب قد تناول يبحث المعارف في بلاد اليمن

بصورة مجملّة ولما كان منشئ الجزيرة^(١) قد قام برحلة الى تلك البلاد وطاف في مدارس صنعاء رأينا إتماماً للبحث أن نضيف إلى محاضرة الامير ما نشره في جولاته عن مدارس اليمن قائلاً ما نصه :

ان الذين يقولون بان المدارس مفقودة في بلاد اليمن يهرفون بما لا يعرفون إذ يبلغ عدد المدارس في تلك الجهات نحو ٢٠٠ مدرسة بين مدارس صغيرة وكتاتيب وكلها مرتبط رأساً بالحكومة ، وبعضها مؤلف من ثلاثة صفوف وبعضها من أربعة .

نعم ان هذه المدارس لم تبلغ مستوى المدارس الحديثة في هذه البلاد بسبب فقدان الأساتذة الاكفاء ، ولكن حركة بسيطة تقوم بها حكومة جلالة الامام لا بد من أن تؤدي إلى تكوين نهضة ثقافية واسعة النطاق .
وفوق ذلك فان في صنعاء عدة مدارس كبرى أذكر منها المدرسة الحربية ودار المعلمين ومدرسة الايتام والمدرسة الزراعية ومدارس الصناعة ومدرسة الإصلاح والكلية العلمية .

والطلاب في جميع مدارس اليمن لا ينفقون على الدراسة بل ان أكثرهم يأكل وينام ويلبس على حساب الحكومة وهذه ماثرة خالدة : نسجلها لجلالة الامام .

وقد التمست من سمو وزير المعارف أن يسمح لي بزيارة مدارس صنعاء فأذن لي بذلك وأرفقني بالشيخ يحيى النهاري وكيل مديرية المعارف وهو شاب يمانى ذكي ونشيط .

مدرسة الايتام

وقد بدأنا أولاً بزيارة مدرسة الايتام التي تعتبر من أرقى مدارس اليمن وهي مؤلفة من سبعة صفوف ستة منها ابتدائية وواحد ثانوي وجلالة الامام (١) هو السيد تيسير ظبيان الكيلاني الدمشقي .

ينفق على هذه المدرسة من جيبه الخاص ويدخل في باب النفقات الطعام واللباس والنوم وغير ذلك ويبلغ عدد طلابها ٣٠٠ طالب أكثرهم من الايتام .
وقد استقبلنا مديرها الشيخ محمد نقي وأخذ يطوف بنا على غرف التدريس وقد فحصت بعض الطلاب وألقيت عليهم عدة أسئلة في التجويد والعلوم الدينية والحساب والجغرافية والتاريخ والقواعد العربية فوجدتهم رغم رداءة طرق التدريس المتبعة عندهم على جانب عظيم من الذكاء وحسن الاستعداد لتلقف أنواع العلوم .

بيد أنني أرى من واجبي إرضاء لضميري وتنبيهاً لحكومة جلالة الامام أن أدون فيما يلي الملحوظات الآتية :

١- ان الطلاب يحفظون دروسهم عن ظهر قلب دون أن يتدبروا معاني ما يحفظون .

٢- بعض التلاميذ كانوا يجلسون على الارض لعدم وجود مقاعد كافية .

٣- يظهر ان العهد التركي ترك في المدارس بعض الاصطلاحات غير العربية وقد رأيتها متداولة ومستعملة في المدرسة نحو : يوقلحة « تفقد » نوتجي (مناوب) فايدوس « فرصة » وقد نهت مدير المدرسة إلى الكلمات العربية التي تقابل تلك المصطلحات الأعجمية فوعد باستعمالها .

٤- لعل من أغرب ما شهدت في هذه المدرسة أن بعض التلاميذ كانوا مقيدين بالسلاسل من أرجلهم ولما استفسرت عن ذلك قيل إنهم يفرون كثيراً فلم يجدوا وسيلة لمنعهم من الفرار إلا عن طريق الأغلال ! . . .

٥- الطلاب كلهم يرتدون الألبسة العربية اليمنية وهذا أمر لا نعترض عليه ولكن لاحظت أن الطلاب عند أداء بعض التمارين الرياضية ولا سيما عند استعمال المتوازيين والحلقات وغيرها يجدون صعوبة ومشقة فحبذا لو يعد لهم لباس خاص مؤلف من سروال وقميص خصيصاً للالعاب الرياضية .

وما أدهشني وأثلج صدري أن التلاميذ استقبلوني بالاناشيد الوطنية المعروفة في بلادنا ولا سيما نشيد صليل الطيبي وصرير القلم . . . الخ

وقد شعرت بقوة حناجرهم وعذوبة أصواتهم مع عدم انطباقها على القواعد الموسيقية الحديثة .

والخلاصة فان هذه المدرسة (رغم النقائص الموجودة فيها والمرجو تداركها حالاً) تعتبر من أعظم المؤسسات التعليمية في بلاد اليمن .

مدرسة الصنائع

ثم توجهنا بعد ذلك الى مدرسة الصنائع وزرنا بعض فروعها وأقسامها ولا سيما معامل النسيج والصابون والسجاد . ويتولى إدارة شؤون هذه المدرسة شاب مصري منتدب من قبل الحكومة المصرية اسمه عبد القادر علام ، وقد أطلعني علي خلاصة الاعمال التي قام بها والخطوات التي خطتها هذه المؤسسة الصناعية في مدة لا تزيد عن ثلاثة أشهر . ثم أراني الآلات والمكينات التي أحضرت حديثاً وأكد لي أنه لو وجهت الحكومة العناية الكافية إلى تقاريره لاستطاع أن يؤمن عن طريق صنائع الطلاب فقط جميع حاجات اليمن من المنسوجات .

ثم زرنا معمل الصابون وكان ينتج في اليوم الواحد ما لا يقل عن أربعة آلاف قطعة صابون ، ويدير أعمال هذا المعمل رجل فلسطيني أصله من عكا ، وقد سألت عن الزيت الذي يصنع منه هذا الصابون فقيل لي انه يستخرج من نبات غريب يظهر في اليمن ويشبه الخروع في تأثيره .
ثم زرنا بعد ذلك معمل السجاد وأعجبت بمصنوعات الطلاب من السجاد النفيس والأبسطة الجميلة .

المدرسة العلمية الكبرى

والمدرسة العلمية تعتبر أرقى المعاهد العلمية في اليمن وهي تؤهل طلابها وخريجياتها بعد نوال الاجازة : (١) لتولي أعمال القضاء (٢) للقيام بشؤون التدريس في مدارس الحكومة (٣) للانسماج في وظائف الحكومة الكبرى . وعلمت ان

أكثر العمال في الأقضية والنواحي متخرجون من هذه المدرسة .
والطلاب فيها يأكلون وينامون ويلبسون على حساب الحكومة ، وقد زرت
غرف نومهم وقاعات التدريس والمطبخ الذي يعد فيه الطعام فألفيتها كلها على أتم
ما يكون بالنسبة لهذه البلاد .

وهذه المدرسة تدرس مختلف العلوم الدينية والعربية فهي تعتبر كالأزهر
في مصر وببإغ عدد طلابها المئتين وقد اختبرت بعضهم فوجدتهم متفهمين
تماماً لما يلقى عليهم من الدروس ومتبحرين في الشؤون الدينية .

أما الدروس التي يتلقونها في هذه المدرسة فهي القرآن الحكيم ، أصول
الفقه ، مصطلح الحديث ، الحديث ، علم الفرائض ، تفسير القرآن ، التصوف
(ويسمونه علم الباطن) ، الصرف والنحو ، التوحيد ، المعاني والبيان ، المنطق ،
الإنشاء ، المحفوظات ، الأدب العربي ، التاريخ الاسلامي ، تاريخ الأئمة ، تاريخ
اليمن ، الحساب ، علم الاوقات والفلك .

والكتب التي يعتمد عليها في التدريس أكثرها من وضع علماء الزيدية
وبعضها مطبوع والبعض الآخر مخطوط وهذه أهم الكتب التي يدرسها الطلاب
في هذه المدرسة :

التجوهد (شرح الجزري) ، مفتاح الفائض في علم الفرائض ، متن الازهار
في فقه الأئمة الاطهار مع الشرح ، الفية ابن مالك وشرحها لابن عقيل ، متن
الاساس في علم الكلام ، تفسير الزمخشري ، متن الغاية في اصول الفقه ، متن
التاخيص ، ملحة الاعراب .

ويبلغ عدد الاساتذة في هذه المدرسة ١٥ أستاذاً أذكر منهم حضرات :

الشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعي (مدير المدرسة)

السيد أحمد بن علي الكحلاني (رئيس المدرسين)

السيد حسين بن محمد الكبسي ، السيد أحمد بن عبدالله الكبسي ، الشيخ

الجمالي علي بن محمد فضة ، الشيخ حسين بن يحيى الواسعي ، السيد عبد العزيز بن علي بن ابراهيم ، السيد علي بن محمد الشهيد ، الشيخ محمد بن علي الشرفي ، الشيخ علي بن هلال التيب ، الحاج لطفي الفسيل ، السيد عبد القادر بن عبدالله ، الفقيه محمد مداعس ، القاضي يحيى الانسي .

وحفاظ القرآن السيد علي الطائفي والفقيه حسين الغيثي والفقيه علي الحيمي .

ملحوظة : القاب العلماء في اليمن القاضي لمن تولى القضاء أو كان والده قاضياً ، والسيد لمن ينتسب لسيدنا علي ، والفقيه والشيخ لائر العلماء .

٢

عدي بن الرقاع العاملي

- ٣ -

مختارات من شعره

دهوان عدي بن الرقاع مفقود ولم يبق من شعره إلا القليل وهذا القليل غير مجموع في مكان واحد يمكن الرجوع اليه بل هو مبعثر في بطون الكتب لذلك فقد انصرفت مدة من الزمن أجمع كل ما عثرت عليه من شعره في كتب الأدب واللغة والتاريخ والتراجم وثقويم البلدان ، فقد أجد القصيدة من شعره مفرقة في أمكنة متعددة فأضمت بعضها الى بعض وقد أجد أبياتاً من بحر واحد وقافية واحدة منشورة على سبيل الاستشهاد في كتب اللغة وثقويم البلدان كلسان العرب لابن منظور ومعجم البلدان لياقوت فأجتهد في ترتيبها وجعلتها قطعة واحدة متتالية بعد التحري والروية . ولم أجد من شعره قصيدة كاملة في مكان واحد إلا قصيدته الدالية التي مدح بها الوليد بن عبد الملك وأولها :

عرف الديار توهمًا فاعتادها من بعد ما شمل البلى أبلادها
فقد وردت برمتها في نهاية الأرب للنويري ج ٤ ص ٢٤٧ وشرح
الكامل للمرصفي ج ٢ ص ٤٨ ومجلة الآثار ج ٢ ص ٤٤٤ .

وهاك طائفة مختارة مما جمعه من شعره .

قال :

لو ثوى لا يريمها الف حول لم يطل عندها عليه الثواء
أهواها يشفه أم أعيرت منظرًا غير ما أعير النساء

وقال :

وناعمة تجلو بعود أراكة موثرة يسبي المعانق طيبها
كأن بها خمرًا بماء غمامة إذا ارتشفت بعد الرقاد غروبها
أراك إلى نجد تحن وإنما منى كل نفس حيث كان حبيبها

وقال يجيب الراعي لما هجاه :

حدثت ان رويي الابل يشتمني والله يصرف أقوامًا عن الرشد
فانك والشعر ذو تزجي قوافيه كبتغي الصيد في عريسة الأسد

وقال :

صادتك اخت بني لؤي إذ رمت وأصاب سهمك إذ رميت سواها
وأعارها الحدثان منك مودة وأعير غيرك ودها وهواها
بيضاء تستلب الرجال عقولهم عظمت روادفها ودق حشاها
وكان طعم الزنجيل ولذة صبياء ساك بها المسحر فها
فاذا تجلجل في الفؤاد خيالها شرق الجفون بهبرة تشجاها
ياشوق ما بك يوم بان حدوجها من ذبي المويقم غدوة فراها

ومنها يقول في صفة حماري وحش :

يتعاوران من الغبار ملاءة بيضاء محكمة هما نسجاها
تطوى إذا علوا مكاناً جاسياً وإذا السنابك أسهلت نشرها
وقال :

وفي الخدور مها حور مصورة خلقن أحسن مما قال من يصف
إذا كورن حديثاً قلن أحسنه وهن من غير سوء يتقى صدف
وقال يصف غيثاً :

مزن ترفع في ريح شامية مكلل بهاء الماء منتطق
تربص الليل حتى قل سائمه على الرويشد أو خرجائه يدق
التي على ذات أحفار كلا كاه وشب نيرانه وانجاب يأتلق
نار تعاود منها العود جدته والنار تسفح عيداناً فتحترق
فما به بطن وادغب نضحته وان تراغب إلا مسفه تثق
وقال في طول الليل :

وكان ليلى حين تغرب شمسه بسواد آخر مثله موصول
أرعى النجوم إذا تغور كوكب أبصرت آخر كالسراج يجول

وقال يمدح عمر بن هبيرة :

إذا شئت ان تلقى فتى البأس والندى وذا الحسب الزاكي التليد المقدم
فكن عمراً تأتي ولا تعدونه الى غيره واستخبر الناس وافهم
فتى عزلت عنه الفواحش كلها فلم تختلط منه بلحم ولا دم

كأن زرور القبطرية علق
عملس أسفار إذا استقبلت له
بكافح لوحات الهواجر بالضحي
إذا ما رمى أصحابه بجبينه
وقال يفتخر:

نسيتم مساعينا الصوالح فيكم
فان تعدونا الجاهلية اننا
بلا ذلك منا ابن المعدل مرة
يقود الينا ابني نزار من الملا
فلما ظننا انه نازل بنا
ونحن فككنا عن عدي بن حاتم
وما تذكرون الفضل إلا توهما
لنحدث في الأقسام بوئساً وأنما
وعمر وبن هند عام اصعد موسما
واهل العراق سامياً متعظما
ضربنا وولينا جمعاً عرمرما
اخى طيبى الأجيال قدماً محرما

وقال يمدح عمر بن عبد العزيز:

جمعت اللواتي يحمد الله عبده
فأولهن البر والبر غالب
وثانية كانت من الله نعمة
وثالثة ان ليس فيك هوادة
ورابعة ان لا تزال مع التقى
وخامسة في الحكم انك تنصف الض
عليهن فليهنى لك الخير واسلم
وما بك من غيب السرائر يعلم
على المسلمين اذا ولي خير منعم
لمن رام ظلماً أو سعى سعي مجرم
تخب بيمون من الامر مبرم
م عيف وما من علم الله كالعبي

م ٦

وسادسة ان الذي هو ربنا اص م طفاك فمن يتبعك لا يتندم
وسابعة ان المكارم كلها سبقت اليها كل ساع وماجم
وثامنة في منصب الناس انه سببا بك منهم معظم فوق معظم
وتاسعة ان البرية كلها يعدون سببا من امام متمم
وعاشرة ان الحليم توابع حلمك في فصل من القول مكم
وقال في الخمر :

فكأنني من ذكر كم خالطني من فلسطين جاس خمر عمار
عتقت في الدنان من بيت راس سنوات وما سبتها التجار
فهي صبياء نترك المرء أعشى في بياض العينين منها احمرار
وقال :

عرفت بعفر أو برجلتها ربا رماداً وأحجاراً بقين بها سفعا
فما رمتها حتى غدا اليوم نصفه وحتى سرت عيناى كاتاهما دمعا
أسرهم ما لو تغافل بعضها الى حجر صلد تركن به صدعا
أמיד كأنني شارب لعت به عقار ثوت في دنها حججا سبعا
مقدية صبياء تشخن شربها اذا ما أرادوا ان يراحوا بها صرعى
عصارة كرم من حديجاء لم تكن منابتها مستحدثات ولا قرعا
فذر ذاولكن هل ترى ضوء بارق وميضاً ترى منه على بعده لمعا
تصعد في ذات الأراب موهنا إذا هز رعداً خلت في ودقه شفعا
فما تركت أركانه من سواده ولا من بياض مسترادا ولا وفعا

وقال :

لولا الحياء وان رأسي قد عسى فيه المشيب لزرت ام القاسم
 يصطاد يقظان الرجال حديثها وتطير بهجتها بنوم الحالم
 وكأنها بين النساء أءارها عينيه أحور من جاذر جاسم
 وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بناثم
 هذه طائفة مختارة مما جمعه من شعر عدي بن الرقاع العاملي إذا أضيفت
 الى ما ورد منه على سبيل الاستشهاد في البحثين السابقين صورت
 للقاري شاعراً فحلاً من شعراء بني امية الذين يمثلون الشعر العربي
 الخالص .

خليل مردوم بك



نظريات الاقتصاد عند البيروني

النظريات الاقتصادية هي حديثة في حد ذاتها ، ولكن كلما أمعنا النظر بالوثائق العربية القديمة رأينا أن السلف الصالح قد تطرق إلى كل ناحية من المعارف ، ولو أننا تابعنا ذلك المسير لكنا اليوم في مقدمة الأمم حضارة ومدنية .

البيروني هو أحد العلماء المسلمين الذي كان له الأثر الأكبر في جمع العلوم الإسلامية فهو أحد ثقات النقادين والباحثين في العلوم التاريخية والجغرافية والطبيعية والرياضية .

ولد أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في عام ٣١٢ هـ أي ٩٢٢ م . سفي في خوارزم وعاش ردها طويلاً من الزمن في بلاط ملوك غزنة السلطان مسعود وخليفته السلطان مودود ؛ أما الكتب التي ألفها فقد أدرجت بفهرست بروكلمن ودائرة المعارف الإسلامية الألمانية ، وكتاب الصيدنة الذي يبحث عن العقاقير ومنفعتها فقد نشره طبيب العيون في القاهرة وأحد الباحثين عن تاريخ الطب العربي الدكتور ما كس مايرهوف . ونشره رامزي رايت R. Ramsay Wright الانكليزي كتاب التمهيم لأوائل صناعة التنجيم ؛ أما مخطوطة البيروني القيصة التي تبحث عن الاحجار (الجواهر في معرفة الجواهر) والتي اكتشفت فيها النظرية الاقتصادية فاني اعرف لها ثلاث نسخ :

١ : نسخة محفوظة في مكتبة الاسكوريال في أسبانيا تحت عدد ٣٢٢ (١)

(١) انظر مقال شتا ينشنا يدر في مجلة الشرق الألمانية ١٨٩٥ عدد ٤٩ ص ٢٥٣

M. Steinschneider, ZDMG. 49, 1895, p.253.

وقد كنت اطلمت على هذه النسخة في مكتبة تاريخ العلوم الطبيعية في برلين فوجدتها مملوءة بالاغلاط .

٢ : نسخة محفوظة في مكتبة السراي في الآستانة كتبت عام ٦٢٦ هـ وقد اطلمت على صورة شمسية لهذه النسخة في جامعة بون ، ويقول الاستاذ كرنكو في مجلة ثقافة الاسلام الهندية التي تصدر باللغة الانكليزية في حيدر آباد (عام ١٩٣٢ جزء ٥ ص ٥٣٠ وما تابعه) (١) ان هناك نسختين في الآستانة في حين ان الاستاذ هلمون ريتو المقيم في الآستانة لتدقيق المخطوطات العربية في خزائن المكتبات التركية يعتقد أن هناك نسخة واحدة .

٣ : نسخة محفوظة في مكتبة رشيد أفندي في مدينة قيصري في تركيا ، ومكتبة بروسيا الحكومية تملك صورة شمسية لهذه النسخة التي كانت دليلي في هذا الموضوع .

وقد أتبع لي أن أدرس هذه المخطوطة دراسة متقنة اطلمت فيها على جميع مآخذ البيروني ، وقد عثرت هنا على نظرية اقتصادية لها تماس قوي مع النظريات الاقتصادية الحديثة أقرت بقيمتها كلية الفلاسفة في جامعة بون (٢) .

وقد كنت نوهت عن هذه المقالة في مجلة الاعتدال (النجف نيسان ١٩٣٦ ص ٥٦١) . واني الآن سوف أبين ما هذه النظرية ، ولكن قبل الخوض في الموضوع أود أن آتي بنظرة تاريخية سطحية أبين فيها الذين سبقوا البيروني في هذا المضمار . في العهد اليوناني تطرق أفلاطون وأرسطوطاليس الى البحث في حاجة الانسان الى التعارن ، حتى ان أرسطوطاليس أشار بأن قيمة الدرهم ليست من ذاته بل بحسب الاعتبار (٣) . وهناك فيلسوف يوناني يدعى بريزون Bryson

(١) Islamic Cultur VI, 1932 p. 530 ff.

(٢) راجع أطروحتي الدكتورية عن منابع كتاب الاحجار المقدمه لجامعة بون

M. J. Haschmi, Die Quellen des Steinbuches des Beruni (Inaugural - Dissertation), Bonn 1935. P. 44, عام ١٩٣٥ .

(٣) راجع رسالة أوزار سالين (استاذ الاقتصاد في بازل ، سويسرا) عن تاريخ -

الذي بحث أيضاً بفلسفة الاقتصاد ولكننا لا نعلم الزمن الذي عاش فيه .
 ويزعم الاستاذ مارتين بلسنر الذي دقق مؤلف هذا العالم مع ترجمته العربية^(١)
 انه عاش على التقريب بين مائة سنة قبل الميلاد وبين مائة سنة بعد الميلاد
 وهناك نظرية اقتصادية للدمشقي نشرها الاستاذ هاموث ريتو في العدد الخامس
 من مجلة الاسلام الالمانية^(٢) ، لا نعلم أيضاً الزمن الذي عاش فيه هذا العالم
 الدمشقي ولكنه ما بين القرن التاسع والقرن الثاني عشر .

فإذا ان أهمية نظرية البيروني عظيمة لاننا نرى هنا تحديد الزمن الذي
 نشأت فيه هذه النظرية ، وقد سبق الفارابي البيروني في فكرة تشكيل
 الجماعات في كتابه القيم « المدينة الفاضلة » أما ابن سينا المعاصر للبيروني
 فقد أنف كتاباً في السياسة^(٣) تكلم فيه عن حاجة الانسان الى التعاون
 ولكنه لم يذكر وجوب اتخاذ واحد قياسي للمعاملة في المبادلات ، فلمسرة
 الاولى نجد تحديد النظرية الاقتصادية في الادب العربي عند البيروني وذلك في
 مقدمته القيمة في كتاب الجماهر في معرفة الجواهر^(٤) .

علم الاقتصاد السياسي في دائرة معارف الحقوق وعلم الحكومة برلين ١٩٢٩ ص ٦

Edgar Salin, Geschichte der volkswirtschaftslehre(Enzyklopaedie der Rechts - und Staatswissenschaft) , Berlin 1929, P. 6

Martin plessner, Der Oikonomikos des Neupythagorees (١)
 Bryson, Heidelberg 1928, P. 148.

Helmuth Ritter, Ein arabisches Handbuch der Handelswis- (٢)
 senschaft, Der Islam, VII, 5.

(٣) راجع مجلة المشرق العدد التاسع عام ١٩٠٦

(٤) رغمًا من أن البيروني اعتمد في تأليفه هذا الكتاب على الكندي حيث

يقول : « ولم يقع في هذا الفن اعني فن الجواهر غير كتاب أبي يوسف بن اسحق
 الكندي في الجواهر والاشباه ، قد افترع فيه عذرته وأظهر دورته كاختراعه البدائع
 في كل ما وصلت اليه يده من سائر الفنون ، فهو امام المجتهدين واسوة الباقيين » ليس
 عندنا أي دليل على ما اقتبس من ذلك العالم في تكوين نظريته الاقتصادية ،
 وكذلك الامر بمعاصر الكندي الجاحظ الذي استقى البيروني منه بعض الاخبار -

ابتدأ البيروني في مقدمته بعد حمد الله بالكلام عن غاية الخليقة ، فتكلم عن النبات والحيوان ، ثم عن الانسان ك مخلوق اجتماعي ، وبين بعد ذلك ضرورة اتخاذ قيمة ثابتة لتسهيل تبادل المصالح ، ثم يجلب هذا العالم نظر دقتنا الى الخطر الناشئ عن الغلو في تشريف الذهب والفضة فيبرهن لنا بأن لا قيمة مطلقة بل قيمتها قيمة نسبية إضافية ، وينتقل بعد ذلك إلى أبحاث الاخلاق الاجتماعية التي تجلب السعادة لبني البشر .

تشقق فكرة البيروني في الاقتصاد من الحاجة ، وهي حاجة المخلوقات إلى المعيشة ، فجعل الله النبات مكثفياً بالقابل من الغذاء الذي لا ينهضم بسرعة ، وثابتاً مكانه يأتيه رزقه من كل مكان فيجذبه بعروق دفاق ؛ أما الحيوان فكان الانهضام فيه سرّبغاً ، منفصلاً عن منبته محتاجاً إلى القضم والخصم فجعل منتقلاً بآلات الحركة في أكناف الارض لطلب القوت ، فأنعم عليه وأعطي خمس حواس للشعور بما حوله مما يابنه وغازيره : من بصر يدرك به المرغوب فيه من بعيد فيسرع إلى اقتنائه ، والمرهوب ليهرب منه ويستعد لاجتنائه وانقائه ، ومن سمم يدرك به المذكور من حيث لا يدركه البصر ، ومن شم يدلّه على خواص الاشياء ، وذوق يظهر له الموافق من الغذاء وغير الموافق ، ولمس يعرف به الحز والقر والرطب واليابس والصلب واللدن والخشن واللين .

فالبصر محسوسه النور الحامل في الهواء ألوان الأجسام خاصة ، وإن حمل أيضاً غيرها من الاشكال والهيئات ، والسمع محسوسه الاصوات والهواء يحملها اليه ، والشم محسوسه الروائح ، والهواء يوصل حواملها الى الخياشيم إذا انفصلت

- عن الجواهر ، أما ارتباط البيروني باخوان الصفاء فلا يزال غامضاً ، ولم أعرّ الا على التشابه بين فكرة التطور في الطبيعة عند اخوان الصفاء وعند البيروني ، وقد كنت بحثت في هذا الموضوع في مجلة المجمع العلمي العربي من عدد ايلول ١٩٣٢ ، راجع اطروحتي (الدكتوراه) وملحق تاريخ الادب العربي لبروكلمن الحديث ص ٢٨١ C. Brockelmann, Geschichte der arab. Literatur, Supplement, Leiden 1936., I. P. 381.

من المشموم كنفصال البخار من الماء باختلاط أجزائه المنتشرة في الهواء ، والذوق محسوسه الطعام والرطوبة تحمائها وتوصلها إلى الدائق وتولجها في خلله ؛ أما حاسة اللمس فانها عمت جميع البدن في أعضائه وفي آلات سائر حواسه ، وأول ما يلاقي الكيفيات ظاهر البدن ، ولهذا كان الجلد بحس اللمس أولى واليه أشبق ، ثم ما وراءه أول فأول بحس اللين واللفظ ، فيزول به حس اللمس عن العظام .

إن المشاعر وان جعلت طلائع الحيوان للاقتناء والابقاء فان النوع الانساني قد فضل على جملة الحيوان بما شرف به من قوة العقل ، ورشح للخلافة في الارض علي التعمير وإقامة السياسة فيها ، ولهذا دانت له طوعاً وكرهاً ؛ ولولا هذا الانعام على الانسان لما قاوم أدونها ، وقد أفرد من حواس الانسان اثنتان هما السمع والبصر فجعلتا له مراقبي من المحسوسات الى المعقولات ؛ ويستدل البيروني هنا على خطورة السمع والبصر بأية قرآنية : « ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً » ، وكذلك بيتين من أشعار العرب كقول أعشى بن ربيعة :

كان فؤادي بين جنبي عالم بما أبصرت عيني وما سمعت اذني
وقول جميل بن معمر :

إذا كنا بمنزلة للهو يخاف السمع فيه والعيونا

وبعد أن تسكلم البيروني عن الحواس والمشاعر أتى على خطورة تكوين الجماعات إذ يقول :

الاستيناس يقع بالتجانس حتى قيل ان الشكل الى الشكل ينزع ، والطير مع الافه تقع . فالأخرس يسكن إلى أخرس ، لأنه يفهم لغته فيما هو بين قوم لا يفهمون عنه شيئاً ، ولذا أشار البيروني الى تلك الآية الكريمة في تشكيل الجماعات : « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها » . وهكذا يعد البيروني الزواج استدلالاً بالقرآن كضرورة من

ضرورات الاجتماع ، إذ هو يفضي الى سكنى القرى والمدن ويسبب التكاثر
للتعاون في الغايات ، أما سبب تعدد الحرف والصنائع فيعملها بما يلي :
الانسان في جبايته مركب البدن من أوشاج متضادة لا تجتمع الا بقهر
قاهر ، والنفس في أكثر أحوالها تابعة للمزاج فتتلون لذلك وتختلف اختلافه .
ومعلوم أن المقهور دائم النزوع إلى ازالة السقهر عنه ، وهذا هو سبب ما يلحق
الحيوان من الآفات والاذى الذي يحتاج من داخله إلى المضادات المطيفة به
من خارجه ، ثم ان الانسان لعراه في ذاته ، ومسكنته لعدم آلاته مقصود
بالبلايا من غيره ، دائم الحاجة الى ما يقيه والاضطرار الى ما يكفيه . وهنا
يبدأ البيروني بالكلام عن الحاجة ، ويرى أن حاجات الانسان لا تنقضي
طالما هو حي يرزق ، ويستدل على صحة رأيه بهذا المثال :

يموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

أما ضرورة التعاون فقد سبق كثير من العلماء البيروني كأمثال افلاطون
وأرسطو والفارابي وابن سينا وغيرهم كما ذكرت ذلك سابقا . وان فكرة
التعاون عند عالمنا مطابقة كل المطابقة للنظريات القديمة القائلة بأن حاجات
الانسان متعددة فلا يمكن افراد أن يستقل بتداركها بنفسه ولا يفي بها الا
تفر ، ولهذا احتاج الانسان الى التمدن . وهناك حكمة إلهية الا وهي
اختلاف توزع الناس في الأرض بين الالهواء والمهم كيلا يطبقوا على اختيار
واحد هو الافضل فيضيع ما دونه . وهنا يأتي البيروني بحكمة قيمة ورغم
مرور العصور نجد ان تلك الحكمة لا تزال حديثة كأن قائمها عالم عصره
يعيش بين ظهرانينا ، يقول ذلك الحكيم الخالد : « يؤدي تساوي البشر الى
هلاك جملتهم » . فينادي البيروني من تلك العصور الماضية مخذراً من دعاة
الشيوعية الذين يدعون امكان تساوي البشر ويفهمنا الخطر العظيم من ذلك
الخيال الذي حلم به كثيرون .

أما الحرف والصنائع فيجد البيروني أنها نشأت من اختلاف المقاصد

والارادات . فلما تعاوض اتخذ البشر بعضهم بعضا سخريا ، فالتسخير بالجور والاستيجار لا يدوم ولا يستقيم . وانه لكثرة الغايات وتباين اوقاتها واستغناء الواحد أحيانا عما عند الآخر لجأ الناس إلى طلب أثمان عامة بدل الاعواض الخاصة ، فاختاروا لها ماراتق منظره وعز وجوده وطال بقاؤه ثم انناد للتعظيم بالتوحيد وللتصغير بالتجزئة والتبديد وللختم بالتمقيش والتصوير مستردداً بين صنوف الهبات والصور مع ثبات هيولاه ومادته . ولهذا السبب يعتقد البيروني ان الله تعالى لرأفته بخلقه رطادر عنايته بهم خزن لهم قبل خلقه ايام جميع الموزونات في أرحام الارضين تحت الرواسي الشامخات الالتهاف بها في الاجتلاب والمدفاع ، واليه يرجع قوله عز وجل (وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) ثم قدر الله في الفضة والذهب جميع مصالح الناس حتى تحلى أثمان المطلوبات وهداهم اليهما فاستخرجهما من معادنهما التي عديا فيها دهوراً ، ووكل الساسة بهما ليحفظوهما من تمويه الخونة أشباهها المغيرة إياهما ابدالا عنها ، وليهذبوهما عن الادناس بالسبك والطبع ، فما من حق مع محقق الا يوبأزائه باطل مع مبطل يروم تزويجه في مكانه . وهذا وأمثاله هو المحوج اولى السياسة ليستحقوا اسم الخلافة في الخلق .

يعرفنا البيروني بالضرر الذي ينجم من الغلو في تقدير الذهب والفضة واخترائهما ، فيأتي بنظرية اقتصادية تابع اليوم دوراً عظيماً في عالم الاقتصاد فان هناك من يعتبر تلك النظرية ويعدها الاساس الاكبر في هذا الفن ومن يرفضها رفضاً باتاً . وقبل أن نعلم من هو النقام بتلك النظرية الحديثة يجب ان نستمع ما يقوله البيروني :

١١ سهل على الناس تكاليف الحياة وتصاريف المعاش بالصفراء والبيضاء ، انطوت الافئدة على جمعهما وماتت القلوب اليهما . . . واشتد الحرص على ادخارهما والاستكثار منهما . وجل محامها من الشرف والأبهة وضعفاً لا طبعاً واصطلاحاً فيجنا بينهم لا شرعاً ، لانهما حجران لا يشبعان بجد ذاتهما من جوع ولا يرويان من صدى ولا يدفعان بأسماً ولا يقيان من أذى . . . فيبرهن

البيروني بذلك انهما خيران بالوضع وسماهما الناس خيراً كالمطلق لاحتوائهما على المناجح في المآرب . وبهذه المناسبة يأتي البيروني بحكاية عن الشعوب الابتدائية: « أخبر بعض من سافر في البحر أن الريح أفضت بهم كبحهم الى جزيرة عاذلة عن الجادة فأرقتوا عندها ، وانه خرج مع الخارجين اليها ، ودفع الى من رأى حاجته معه ديناراً ، فأخذه وفتشه وشمه وذاقه ، فلما لم يثر منه في هذه الحواس أثر نفع ولدته ررده عليه ، اذ لم يستجز دفع ما ينتفع به بما لا نفع له فيه » . ويؤكد البيروني قائلاً :

هذا له ري هو المعاملة الطبيعية التي بها حقيقة نظام المعاش من المتمدين للتعاون . وأما المعاملة الوضعية فعلى الاعم فيها بما اتصل بنا خبره من البلدان والممالك هي بالفلزات التي ازدانت في أعين الناس وشغف بها قلوبهم لصرف الله بلطفه اياها اليهم إصلاحاً بينهم لا لأنفسها .

وهنا تجادلت مع الدكتور كلاوزينك أحد أساتذة علم الاقتصاد في جامعة بون عن هذه النظرية وأخيراً اعترف هذا الاستاذ بعد دراسة الموضوع ملياً بالتشابه الذي بين نظرية البيروني ونظرية اقتصادي حديث يدعى كتاب Knapp وهكذا يدعي كتاب أن قيمة الذهب هي ليست من معدنه بل حسب الاعتبار ، أي كما يقول البيروني وضعاً لا طبعاً^(١) .

وأخيراً يعالج البيروني مرضاً معضلاً في عالم الاجتماع لم يبرأ البشر منه رغمًا عن مضي العصور العديدة ، وذلك الداء العضال هو كثر الاموال وعدم تركه للتداول ، لأن الحركة هي من ضرورات الحياة ، واذا وقفت تلك الحركة كانت أزمة اقتصادية هائلة . فلقد أنكر البيروني كثر الاموال واستدل بالآيات القرآنية : « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل

(١) راجع النظرية الحكومية للدرهم لكتاب :

Knapp , Staatl. Theorie des Geldes , München und Leipzig 1921, p. I. Herbert Doering, Die Geldtheorie seit Knapp [Greifswalder Staatswissenschaftl Abhdlg. Greifswald 1922, p.9).

الله فيشرهم بعذاب أليم» . ويفسر البيروني في سبيل الله فيها ما خلقها له من انتفاع الناس بترددهما في أيديهم أثماناً لمصالحهم . فبوجودهما كنزا انقطع انتفاع الخلق بهما وخولف أمر الله تعالى ومشيئته فيهما . ويعتقد البيروني ان الذهب والفضة إذا خرجا من معدنهما صارا كالزروع المحصودة والانعام المذبوحة لا يسوغ غير أكلها وانفاقها ، كذلك هذا المال لبس له بعد الاستنباط غير الطبع عيناً وورقاً وترديده في الايدي . ولهذا السبب نفسه يرى البيروني حكمة تحريم الاواني الذهبية لأنها تصير غير منتفع بها في الوقت انها جعلت لاجل تسهيل التبادل في المصالح البشرية^(١) .

فلا عجب بعد هذه المقدمات إذا بدأ البيروني يتكلم عن الفتوة والمزوة قائلاً ان المروءة تقصر على الرجل في نفسه وذويه والفتوة تتعدى الى غيره . إذا ان حل الأزمات الاقتصادية لا يمكن ان يكون مادياً بوجه من الوجوه بل هو معنوي محض . فلو غرس في قلوب الناس معنى تلك المروءة والفتوة لما طاق بشر أن يرى غيره يتقلب من الآلام وهو وحده يتنعم بشتى الخيرات ، ولعلم ان الدرهم الذي بيده والمال الذي جمعه يجب أن يتداول ، يجب أن يمسي ولا يقف في أرضه ، عند ذلك نشاهد سعادة لا تشابهها سعادة .

وإذا اتضح لنا ان كثيراً من علماء الاقتصاد في الزمن الحاضر يرون ان الازمة الاقتصادية العالمية الحالية ناشئة عن عدم معرفة التبادل في المنتجات تظهر لنا أهمية نظرية البيروني في عصرنا الحديث ايضاً . ومن يدقق المنتجات العالمية يرى ان هناك مواداً كافية من طبيعية وصنعية للقيام بحاجة البشر ، ولا تحتاج الشعوب إلا إلى رجال عقلاء يدبرون تبادل المصالح المختلفة . وهنا

(١) يستند البيروني على الشافعي في حكمة تحريم الأواني الذهبية والفضية (راجع كتاب الام ، بولاق ١٣٢١ هـ . مختصر من في ص ٤) . وكما اعتنى فقهاء المسلمين في قضية الانتصاد الاخلاقي كذلك اعتنى في ذلك رجال الدين المسيحي في اوائل القرون المسيحية . راجع كتاب باول مومبرت عن تاريخ علم الاقتصاد :

Paul Mombert. Geschichte der Nationaloekonomie, Jena 1927
p. 64 — 65.

نرى جلياً ان الداء الاجتماعي العضال الذي تثن من تيمته الانسانية لا يزال هو
هو منذ الاجيال البعيدة .

هكذا يصرخ فينا حكيم مثل البيروني من تلك العصور الماضية منادياً:
ان الأزمات مهما تراءت لنا بمظهر مادي هي في الحقيقة أزمة روحية .

الدكتور

محمد يحيى الهاشمي

مدرس اللغة العربية في برلين

~

الاهتداء

الى قبر معاوية بن أبي سفيان برمسق

الروى التاريخي الذي تركه معاوية

لقد ترك معاوية منذ نشأته الى الحشر ، دويماً تاريخياً « كأنما تداول سمع المرء أمّله العشر » . أما في منشأه : فقد روى لنا محمد بن سلام الجمحي صاحب الطبقات عن أبان بن عثمان قال : كان معاوية يبنى وهو غلام مع امه فعثر فقالت له : قم لا رفعك الله ، فقال لها اعرابي سمعها : لم نقولين له هذا ؟ والله اني لأراه يسود قومه ، فقالت : لا رفعه الله إن لم يسد إلا قومه ! وقد ساد قومه كما توتست وهو فتى ، فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قلده إمارة الشام وهو في مقتبل عمره ، وأعجب له مع ابن الخطاب وهو يجاوره . ففي الاستيعاب : قال عمر إذ دخل الشام ورأى معاوية : هذا كسرى العرب ، وكان قد تلقاه معاوية في موكب عظيم ، فلما دنا منه قال له : أنت صاحب الموكب العظيم ؟ قال :

— نعم يا أمير المؤمنين . قال عمر :

— مع ما يبلغني عنك من وقوف ذوي الحاجات ^(١) . قال معاوية :

— مع ما يبلغك من ذلك ! قال عمر :

— ولم تفعل هذا ؟ قال معاوية :

(١) لعل الاصل : بياك .

- نحن بأرض جواسيس العدو بها كثير ، فيجب أن نظهر من عز
السلطان ما نرهبهم به ، فإن أمرتني فعات ، وإن نهيتني انتهيت ؛ قال عمر :
- ما أسألك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس^(١) ، إن كان
ما قلت حقاً إنه لرأي أربب ، وإن كان باطلاً إنه لخدعة أديب ! فقال معاوية :
- فمرني يا أمير المؤمنين ، فقال عمر :
- لا أمرك ولا أنهلك ؛ وكان يسمع تحاورهما عمرو بن العاص فقال :
- يا أمير المؤمنين ، ما أحسن ما صدر الفتي عما أوردته فيه ! فقال عمر :
- لحسن مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه !

ونحن إنما نشيد بذكر معاوية في هذه المقدمة من الوجهة القومية ،
معتقدين أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحق منه دينياً بالخلافة وأنه
باعتقادنا معشر السنة كان في خصومته مع علي كرم الله وجهه مجتهداً مخطئاً
وكان علي مصيباً ، وأن للمخطي عن اجتهاد أجراً وللصيب أجرين ، وأنهما
وأتباعهما قد رجعا إلى ربهم وهو أعلم بهم وسينبؤهم بما كانوا فيه يختلفون ،
والمسلمون اليوم في حاجة حاقة إلى توحيد كلمتهم ، والعرب منهم خاصة
أحوج ما يكونون اليوم إلى لم شعثهم وضم ما انتشر من الفقه ، ونحمد الله
أن أوجد فينا بأخرة من أفاض الشيعة من ينصف معاوية من الوجهة القومية
كما ينصفه السنة وأكثراً فلولاً معاوية وحسن سياسته ، وما ملأ الأسماع
من أنباء حلمه وكياسته ، لما توطد للعرب ملك في ديار الشام ، واستمع
لشهادة ابن عباس فيه في تاريخ البخاري قال ابن عباس :

(١) أهلها الفرس إذ لم نجد في التاج واللسان ان للضرس رواجب إنما هي للجمار
على سبيل التمثيل فللفرس وغيرها من ذوات الحوافر رواجب ، قال في التاج :

والرواجب من الجمار عروق مخارج صوته عن ابن الاعرابي وأنشد :

طوى بطنه طول الطراد فأصبحت ثقلل من طول الطراد رواجبه
ولعله أراد تركتني في مثل رواجب الفرس اضطراباً ، فنقول هذا إلى أن نجد
نصاً واضحاً وقولاً شارحاً .

ما رأيت أحداً أحلى للدملك من معاوية .
ثم استمع لشهادة عبدالله بن عمر إذ يقول : ما رأيت أحداً بعد رسول الله
(ص) أسود من معاوية ، فقييل له : فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي (رض) فقال :
كانوا والله خيراً من معاوية ، وكان معاوية أسود منهم ؛ فيفضله عبدالله على أبيه عمر
في السيادة ، وأنصف بها من شهادة .

ولاية معاوية على الشام

ولاه عمر على الشام عند موت أخيه يزيد سنة تسع عشرة ، وكان عمر
كتب الى يزيد بن أبي سفيان يأمره بغزو قيسارية فغزاها وبها بطارقة الروم
فحاصرها أياماً ، وكان معه بهذه الغزاة أخوه معاوية فتخلفه عليها ، وصار يزيد
الى دمشق فأقام معاوية على قيسارية حتى فتحها في شوال سنة ١٩ للهجرة .
وتوفي يزيد في ذي الحجة من ذلك العام في دمشق واستخلف أخاه معاوية
على عمله فكتب اليه عمر يعهده على ما كان يزيد من عمل الشام ورزقه الف
دينار في كل شهر فأقام أربع سنين ، ثم مات عمر وأقره عثمان عليهما في اثنتي
عشرة سنة الى أن مات ولم يبايع علياً متهماً إياه بمقتل عثمان فكانت الفتنة
رحاربه خمس سنين ، واستقل بالشام ، ثم أضاف اليها مصر ، ثم تسمى بالخلافة
بعد الحكمين ، ثم استقل بالملك لما صالح الحسن رضوان الله عليه واجتمع الناس
عامئذ فسماه عام الجماعة ، قال عبد الملك بن مروان : عاش ابن هند (يعني
معاوية) عشرين سنة أميراً وعشرين سنة خليفة .

كتابة الوصي

في دمشق ثلاثة من كتاب رسول الله (ص) زيد بن ثابت ، ومعاوية بن أبي
سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، وقد اختص معاوية من بينهم بمراسلة قبائل العرب
فكان لذلك من أعلم الناس بها وأقومهم بسياستها ، قال المدائني : كان زيد بن
ثابت يكتب الوحي وكان معاوية للثبي (ص) فيما بينه وبين العرب ، فهو بذلك

شبيه بمدبر العشائر على عهد الحكومة الفيصلية ، أو رئيس المكتب العربي (١) في حكومات هذا العصر ، وكأنه إنما اضطلع بالكتابة بدعوة النبي (ص) له كما كان يدعو أعماله ، فمن العرباض بن سارية - كما في الاستيعاب - قال سمعت رسول الله (ص) يقول : اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقره العذاب .

رفاة معاوية برسني

وتوفي معاوية بدمشق يوم الخميس في النصف من رجب سنة ستين على الصحيح ، وهو ابن ٨٢ سنة وكان قد ادخر ايوم احتضاره ثوباً للنبي (ص) كان يلبسه على جلده ، وقلامه من أظفاره وقصاصة من شعره فقال لابنه وهو يحتمضر : إذا أنا مت فاجعل ذلك القميص دون كفني مما يلي جلدي وخذ ذلك الشعر والأظفار فاجعله في فمي وعلى عيني ومواضع السجود مني فان نفع شيء فذاك ، وإلا فان الله غفور رحيم ، ثم تمثل محتمضراً بهذا البيت الحكيم :
فهل من خالد إما هلكنا وهل بالموت يا للناس عار

كيف انقربت الى قبره الصحيح ؟

ذهبت عصر الجمعة في السابع من شوال ١٣٥٦ (١٠ كانون الاول - ديسمبر ١٩٣٧) في يوم أصحت سماءه وضح هواؤه للتنزه في حدائق دمشق الغناء مع صديقين رفيقين لأحدهما « بستان السيوفي » نسبة الى أسرته يقع قبلي مقبرة باب الصغير - ولعلها أقدم مقابر دمشق - وكان من مخاصير الطرق أن نجتاب هذه المقبرة القديمة ، وكان من عادي كلما صرت بها أن أسأل الحفارين بها عن قبر معاوية ، فلما حزرنا بقبور آل البيت وتبركنا بزيارة قببهم رضوان الله عليهم ، تفاطلت بين القبور المجاورة فرأيت حفاراً قبلي القبئين المنسوبتين لام حبيبة بنت أبي سفيان ولام سلمة من أزواج الرسول (ص) ، فسالته عن قبر

(1) Arab bureau.

م ٨

معاوية فقال الحقني فلحقته وصاحباي علي أثري الى أن بلغنا حجرة من اللبن مسقوفة بأعمدة من شجر الحور بابها الى الغرب ، وهي هنا واقعة قبلي المقبرة قريبا من مسلخ المدينة ، فأخرج الحفار مفتاحاً من الزنار وفتح الباب فدخلنا الحجرة فواجهنا قبراً على موضع الرأس منه عمامة خضراء من الحجر وفي واجهته الغربية حجران مكتوبان ، أعلاهما الواقع تحت العمامة بقدر دفقة كتاب كبير نقش عليه في السطر الأعلى ما نصه : « قبر سيدنا معاوية رضي الله عنه » وتحته : « جدد هذا المقام صاحب الخيرات اونوى (كذا) الحاج محمد باشا محافظ الشام سنة ١١١٥ » وهو محمد باشا العظمي وكان مولعاً باهداء الكتب والمصاحف الى المساجد ، والحجر الثاني من تحته قطعة يبلغ ارتفاعها الذراع من عمود من الحجر المزي الصلد به بعض شقوق وتحطيم زبر عليه ما نصه والسطر الأعلى لا يقرأ :

« هذا قبر خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان كاتب الوحي وورديف رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

ثم خرجت من الحجرة وبجثت عن القبور المجاورة فشاهدت قبراً متصلًا من جانبه الشمالي بجدار الحجرة الجنوبي وله شاهدتان فائتان : الغربية منها عليها خط كوفي تعجب على عجل قراءتها ، والشرقية أصلد حجراً منها وأوضح كتابة عليها ما نصه :

« هذا ضريح الفاضل الكبير والعلامة النحرير صاحب التأليف الجامعة والتصانيف النافعة ولي الله من غير ارتياب ومن الدعاء عند قبره مستجاب سيدنا الشيخ أبو الفتح نصر بن ابراهيم بن داود المقدسي قدس سره العزيز سنة ٤٩٠ »

وهناك قبور أخرى لعلماء مشهورين منهم في القرن السادس خطيب دمشق وامامها ومفتيها عبد الملك بن زهد التغلبي الدوامي من أئمة الشافعية المؤلفين توفي سنة ٥٩٨ للهجرة ، والى جانبه قبر أبي البيان محمد القرشي الدمشقي شيخ الطائفة البيانية كان شاعراً وإماماً في اللغة وفقهياً مؤلفاً وزاهداً صاحب أحوال ذكره

ابن كثير في الطبقات توفي سنة ٥٩٠ هـ الى قبور قديمة اخرى .
 أما عبارة (خال المؤمنين) في شاهدة معاوية فلأن اخته السيدة ام حبيبة
 زوج النبي (ص) هي أم المؤمنين فهو خال المؤمنين ، وقد رجعنا من المقبرة مع
 الغروب الى منازلنا ، وأخبرت ثاني يوم صدقي مدير الآثار في دمشق الامير
 جعفر الحسيني حفيد الامير عبد القادر الكبير وأبأته باهتدائي إلى قبر معاوية
 والى ما حوله من القبور القديمة ، فسر لهذا النبا الاثري التاريخي العظيم ونرض
 معي لزيارته فذهبنا وقت الزوال الى المقبرة ودخلنا الحجرة وشاهد الحجرين لان
 علماء الآثار لا يحفلون كثيراً بالاقوال الشائعة ما لم يروا أثراً ناطقاً ودليلاً
 صادقاً ، ثم أربته قبر الامام المقدسي الملاصق للحجرة وما حوله من القبور
 القديمة التي تبلغ مجموعها نحو عشرة قبور فقرأنا الشواهد معاً ، وكان بعض
 التواريخ مدفوناً في الارض فكشف لنا الحفار عنها حتى قرأناها وكتبنا
 ما قرأناه ورجعنا أدراجنا ، ثم بحثنا في شذرات الذهب عن ترجمة نصر بن
 ابراهيم المقدسي فوجدنا له ترجمة عالية فقال لي مدير الآثار :

لو وجدنا في هذه الترجمة ذكراً لدفنه قرب معاوية لزال كل شك ، واذا
 كان من أئمة الشافعية راجعنا ترجمته في كتاب (تهذيب الاسماء والحلقات)
 للامام النووي ، فوجدناه لم يترجم لنصر غيره ، ورأيناه يجله الاجلال كله
 ويذكر انه من المرجحين في المذهب الشافعي وانه في كتابه (الحجة على من
 ترك المحجة) لم يذكر في المسائل التي قيل فيها قولان إلا قولاً واحداً رجحه ،
 وذكر ان الامام الغزالي أخذ عنه وانتفع بصحبه ، وانه سمع من الشيخ
 يستجاب الدعاء عنده يوم السبت ، كما كتب على الشاهدة ، فدعوت الله والامير
 جعفر كثيراً لان زيارتنا له كانت يوم السبت ، ثم قال الامام النووي في
 تهذيبه^(١) ما نصه :

« وقبره بباب الصغير يجب قبر معاوية وأبي الدرداء رضي الله عنهم

(١) الجزء الثاني من القسم الاول ص ١٢٦ .

يكثر الناس زيارته والدعاء عنده» ، ولم يزل النساء يزرن قبره إلى يوم الناس هذا للتبرك به والدعاء عنده يتوارثن جيلاً بعد جيل معرفة قبره وما خص به من البركة ، وقد جهل جل الشيوخ حتى الشافعية منهم قبره ، كما جهل الناس بدمشق قبر معاوية إلا بعض الحفارين بباب الصغير والعجائز من النساء اللواتي يزرن قبر نصر المقدسي رحمه الله .

ولما قرأنا تنويه الامام النووي بدفن المقدسي بجنب قبر معاوية وليس بين القبرين غير نحو مترين قال مدير الآثار الأمير جعفر : الآن حصحص الحق ، وهو دليلٌ علمي قاطع كما أن الحجرين على القبر دليل أثري نافع ، وفي دمشق قبران آخران منسوبان لمعاوية أحدهما في محلة الشرفاء من حارة النقاشات تحت قبة أيوبية العهد يقولون إنه قبر معاوية الكبير وقد زرته مرتين وليس في القبة ولا على القبر شيء من الكتابة ، وفي زقاق يعرف بزقاق معاوية قبر في زاوية قادرة فيها كثير من الطبول والمسابح والدفوف مغطى بالجوخ الأخضر ينسب لمعاوية الصغير ، وليس في هذه الزاوية أثر كتابي يدل على المدفون ، هذا هو الشائع اليوم بين جمهرة الشاميين ، وقد غر هذا الشائم الحافظ ابن طولون إذ يقول في كتابه بهجة الانام : « في الحائط القبلي من جامع دمشق في قصر الأمارة الخضراء قبر معاوية وهو الذي تسميه العامة قبر هود عليه السلام » فلعله يعني القبر المنسوب إلى معاوية الصغير ، وقد أجمع سائر المؤرخين أن معاوية مدفون بمقبرة باب الصغير ، منهم ابن عساكر في تاريخه والنووي في تهذيبه وابن الحوراني في رسالته « الاشارات إلى أماكن الزيارات » وكثيراً ما يترجمون مشاهير العلماء وينصون على أنهم دفنوا قرب معاوية بباب الصغير كما فعل النعمسي في كتابه « الدارس في المدارس » في ترجمة الامام شمس الدين الصرخدي المتوفى سنة ٧٩٢ فقد قال ما نصه : « ودفن بباب الصغير بالقرب من معاوية رضي الله عنه » .

وخلاصة البحث والتنقيب أنه لا يشك أحد من المؤرخين أن أول ملوك العرب معاوية بن أبي سفيان توفي ودفن في دمشق ، وليس من شك أنه في

مقبرة باب الصغير ، وقد اطمان قلب مدير الآثار العلامة وقاىي بما ذكرته من
الدليلين الأثري والعلمي انه القبر الذي اهدتيد' اليه وقرأنا حجر به .
وفي اليوم الثالث خف' معني لزيارته العلامة الدراكة وزير المعارف السيد
عبد الرحمن الكيالي الذي نهض بمعارف الشام نهضة ماثورة مشكورة مع
السيد عارف النكدي مدير العدل وعضو' مجمعنا العلمي ، وفي اليوم
الرابع بشرت صديقي الاديب البارع الكبير السيد خليل مردم بك
عضو مجمعنا بذلك وكنا تعبنا معاً كثيراً في التنقيب عن قبره ، فذهبنا إلى باب
الصغير وقبل دخول المقبرة دخلنا القبة الغورية القائمة في مدفن آل مردم ،
وبجانها قبتان مهدومتان فيها قبور يقال ان بها قبراً لمعاوية فلم نجد من الكتابة
ما يدل على ذلك وإنما وجدنا كتابة تدل على دفن أمير شر كسي يعرف باسم
بهادر المالكي الناصري ، ثم سرنا إلى قبر معاوية زورناه وجاره المقدسي وما
حولهما من قبور العلماء والصالحين فجزم . مثلنا بأن القبر الصحيح الذي اهدتيد
بأخرة اليه هو قبر خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان كاتب الوحي وريديف
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عز الدين التنوخى



المصائب العام، بوفاة السيد الامام

محمد رشيد رضا

١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ

-٢-

انظروا على رجال الدولة والحكام

أوتي السيد الفقيه من نور البصيرة ، وسعة العلم ، وشجاعة القاب ، وظهور
الحجة ، وقوة الأسن ، ما لم يؤتته إلا الأقلون في كل عصر ، وقد كان رحمه
الله سرّيع الخاطر ، حار البديهة ، قوي الجواب ، مفحماً ملزماً فيه ، لا يبالي في
سبيل الحق - سطوة حاكم ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، وانكاره على الملوك ،
والامراء ، ورؤساء الحكومات ، ورجال الدول والامم ، أمر مشهور يعرفه كل
من اطلع على مناره وقرأ مقالاته ومناظراته فيه .

وإذا كان الله تعالى أعطي الولاية بشطريها - الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر - للرجال والنساء على السواء فقال : « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء
بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وكان النساء في صدر الاسلام
يعلمن هذا ويعملن به ، فقد سمعت امرأة من قریش أمير المؤمنين عمر الفاروق
يخطب على منبر النبي (ص) ويمنع أن تزيد مهوور النساء على أربعمائة درهم ،

فاحتجت عليه بقوله تعالى: «وآتيتم احداهن قنطاراً» فقال اللهم غفراً، كل الناس أفقه من عمر.

قلنا إذا كانت النساء ترد على الخلفاء في ذلك العهد عملاً بهذه الآية الكريمة فهل يستكثر على صاحب المنار وهو امام في الدين والعلم أن ينكر على ملوك عصرنا فمن دونهم من الحكام??

كان له في صباه رحمه الله مع رجال العهد العثماني مواقف دات على ثبات جنانه، وقوة ايمانه، وشدة صدقه وإخلاصه. فمن ذلك أن أول خطاب عام ألقاه في طرابلس الشام، بحضور المتصرف التركي وهو الحاكم الاداري العام (حسن باشا بن سامي باشا شيخ وزراء الدولة في عصره) والعلماء وجميع رؤساء الحكومة وسائر الوجهاء:

شبه في خطابه الامة بالفرد منها، والجماعات العاملة للمصلحة العامة فيها— ومنهم رجال الحكومة والدولة بأعضاء الفرد من رئيسية كالدماغ والقلب، ومشاعر وآلات، وتال: إنهم يجب أن يكونوا سواء في الحقوق العامة والاحترام، وإن كانوا يتفاضلون في العرف والاعتبار، وشبه العاطلين الذين لا يعملون عملاً نافعاً لآمتهم ويحتقرون الطبقات الدنيا من العاملين بقوله: «ولا التفات إلى سفهاء الاحلام، المتكبرين بالأوهام، الذين يحتقرون الزراع والصناع، فإنما مثل الفربقين كالأعمى والأصم والسميع والبصير، والنسبة بينهما كالنسبة بين الأيدي والأرجل في البنية، وبين زوائد الأظافر والشعور لو كانوا يعقلون!».

وقد خشي عليه استناده الجسر من ذلك الخطاب الجريء، ومن الحرمة المفرطة التي ظهرت فيه، في بلاد مستعبدة لا تملك حق القول للمصلحة العامة، ببناء العمل!! ولكن المتصرف كان من كبار أحرار الترك أولي التربية العالية، وقد أثنى على الفقيد وقال: إنني أفتخر اليوم بأن أعد نفسي طرابلسياً لهذه الحكمة التي سمعتها من هذا الشاب! وقد ذكر في كتاب المنار والأزهر أمثلة كثيرة لجرأته وشجاعته رحمه الله.

اصلاح في سوطه قبل هجرته الى مصر

يستسهل من لا خبرة له ولا دربة أمر إصلاح العامة مع أنه مطلب عظيم ، لا يصلح له إلا كل من اتسعت معارفه ، وكثرت تجاربه ، فإن إصلاح ما طرأ من الخلل والفساد على الناس في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم وآدابهم من أشق الأمور لا سيما إذا تمكنت الأهواء من النفوس ، وطال عايتها الزمن .

الواعظ الحكيم هو الذي يخاطب الناس بلسانهم ، ويتحرى من أساليب القول ما يرى انه أدنى إلى اقناعهم ، وقد كان رسول الله (ص) ينزل الناس منازلهم ، ويخاطبهم على قدر عقولهم ، ويقول : كلموا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ فالمدكر أو الواعظ أو المرشد هو كما وصفه بعض الاجلاء ماخصاً : حافظ لحدود الله ، قائم على ارشاد العقول ، وتهذيب النفوس ، وتصحيح المعتقدات ، وإبانة سر العبادات وإمالة ما غشي الأفهام القاصرة من غياهب الجهالة ، وتراث الضلالة ، واقف على مقاصد التشريع وحكمته ، عالم بمواضع الخلاف والوفاق ، سانس لسامعية بما يلائمهم من الاحكام ، بل هو العامل الاكبر في إخراج الناس من ظلمات الجهالة الى نور العلم ، وتحريرهم من رق الخرافات والوهم ، فالعالم كالسراج إن لم ينتفع بضوئه فلا فائدة في وجوده بل لا يكون العالم عالماً حتى يظهر أثر علمه في قومه إذ ليس مسؤولاً عن نفسه وحدها ، بل عن عشيرته وامته . أقول من لاحظ هذه الأوصاف ، وعرف ما قام به الفقيه العظيم من الاعمال ، وجدها منطبقة عالية تمام الانطباق واليك عمله في بلده :

بعد أن نال المترجم شهادة العالمية في مدينة طرابلس الشام ، عاد الى بلده القلمون ، وأخذ يقرأ درساً في المسجد يعظ الناس ويذكرهم فيه ، ويذهب الى مقهى لهم يلمسون فيه فيجمعهم (يخطبهم) ، وكان فيهم أفراد تاركون للصلاة فاستتابهم ، وجعل للنساء درساً خاصاً في دارهم القديمة ، وألزمهن تغيير زينهن بما

هو أستر وأظهر ، فصرن يحافظن على الصلوات الخمس ، وحسنت حالهن في النظافة وفي معاشرة أزواجهن ، وأما نساء أسرته المباركة (بيت المشايخ) فكان كلهن يصلين علي معرفة ، اذ كن متفقهات في دينهن محتجبات كأهل المدن في زيهن ، متفوقات في تدينهن وأدبين ، فكان يقرأ لهن بعض كتب الادب أو التاريخ أو المواعظ . وجملة القول : انه رحمه الله جدد عهداً في السقلهون بالدعوة الاسلاميه التي عمم الرجال والنساء والبنين والبنات ، وهكذا فليكن العالم المرشد .

يذكر الفتييد أن المعلم الاول الذي كان له أكبر التأثير في دينه وأخلاقه وعلمه وعمله هو إحياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالي ، فهو من بعد أن طالعه كله لنفسه ، وأكثر من مراجعة بعض فصوله وأبوابه ، صار يقرأه درساً للناس في المسجد ويعظهم به ، والحق أن الإحياء هو كتاب وعظ وإرشاد ، يبحث في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ، فيعلم العقول ، ويربي النفوس ، ويغذيها بلبان الحقائق ، ويحايها بالأخلاق الطاهرة ، ولا يكاد يوجد بين أيدي الواعظين كتاب من كتب الدين صالح لوعظ العوام من كل وجه ، كافل بما يحتاجون اليه من المسائل الدينية ، والشؤون المعاشية ، مثل هذا الكتاب (على شرط تجربده من الزوائد) فهو يذكر الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة في المباحث المعقودة في الباب ، ويرد فيها ببسط المراد من تلك الآيات والأحاديث ، ثم يذكر مزاميها ، وحكم الأحكام وأسرارها ولطائفها ، ويضرب للناس الأمثال من سير بعض مشاهير الرجال وأخلاقهم . وقد كان شيخنا الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله يقول : « ان من أنعم ما يقببس منه موعظة المؤمنين ، مواضع تنتخب من إحياء علوم الدين » . ثم اتفق أن تذاكر مع الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده - أيام كان في ضيافته بمصر هو وصديقه الاكبر الاستاذ الجد الشيخ عبد الرزاق البيطار عام (١٣٢١) واستطلع رأيه في هذا الموضوع ، فقال الاستاذ المفتي متأسفاً : « إن هذا الموضوع لم يصنف فيه ،

إلا أن أحسن ما لدينا لذلك هو الإحياء بعد تجرّده « فعد استاذنا القاسمي ذلك من بدائع الموافقات ، واختصره في مجلد واحد سماه (موعظة المؤمن من إحياء علوم الدين) فمن قرأه وجد موعظته حسنة ، ودعوته حكيمة ، وحجته واضحة ، وتأثيره كبيراً .

رضول شعر الفقيه وكتابة في طور صبر

نشأ الفقيه مولعاً بمطالعة كتب التصوف والادب ، ونظم الشعر في سن الحداثة ، وكان يحفظ الجيد منه ، ويميز بالسابقة بين الموزون وغيره ، وقد رثى شيوخه في علم الدين ، وأصدقاء والده وأسرتيه ، ومن أجلهم شيخ الشيوخ الشيخ محمود نشابه ، والاستاذ الاكبر الشيخ عبد الغني الراجعي ، والمرشد الاكبر الشيخ أبي الحسن محمد القاقجي ، ولم يرث من وجهاء الدنيا إلا الامير أحمد حسان الايوبي ، صديق والده وأكبر وجهاء الكورة في جبل لبنان ، فقد نظم فيه مرثية دالية اشتهرت حتى كادت تذكر مع مرثية المعري الدالية في فلسفتها ، ومرثية الشريف الرضي الدالية في تعظيم قدر المرثي بها . وقد قال في مطلعها^(١):

إبّ المنية غاية الميلاد والنعش مثل المهدي للاولاد!
والله قد برأ الخلائق للبقا بعد الفنا وزيارة الاحساد
والموت باب النشأة الاخرى لنا وبها كمال الخلق والايجاد

ثم قال بعد أبيات في وجوب السرور بالموت واستنكار الحزن والحداد ، ومضارثهما وقبح عاداتهما :

أطبيعة ذا الحزن ليس يشد عن ناموسه فرد من الافراد
أم ذلك مما أوجبه شرائع الأديان من هدي لنا ورشاد؟
أم ذلك العقل السليم قضى على كل الشعوب بهذه الاصفاد؟
كلا فليس الامر ضربة لازب ليكنه ضرب من المعتاد
فأطلع سراويل العوائد إن تكن ليست بشهج العقل ذات سداد

(١) المنار والازهر .

ونقلد الحزم الشريف كصارم كما تنافح جيشها بجهاد
فانظر لموت الناس بالعين التي ترنو بهسا لولادة الاولاد
هاتيك مبدؤنا وهذا تمنا طرفان مستويان للثقاد
بل آخر الطرفين خيرهما فخذ بالاعتبار به والاستعداد

أقول : إن حزن القلوب وسكب الدموع على الاهل والمحبين أمر طبيعي لا يكاد يشذ عنه فرد من الافراد ، وفي الحديث « ان العين لتدمع ، وان القلب ليحزن » وان السيد الامام كان أشد الناس فجيعة بفقد استاذ الامام (رحمها الله تعالى) وإنما غرضه ان هذه القوافل التي ترحل عن هذه المنازل هي أسمى من أن تزول في التراب زوال الهشيم من النبات ، وإن هذه الارض ليست دار إقامة دائمة ، ولكنها ميدان واسع المدى متناهي الاطراف أوجده الحكيم المبدع وجعل ما على وجهه زينة له ، ثم سخره للسلائل البشرية ودفعهم للعمل فيه ومكنهم من ذلك بما أودع فيهم من القوى الظاهرة والباطنة ، ثم هو ينشئهم النشأة الآخرة فيجازيهم بما كانوا يعملون : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون » ؟ « أيجسب الانسان أن يترك سدى » ؟ وهذا هو معنى قوله :

بل آخر الطرفين خيرهما فخذ بالاعتبار به والاستعداد

ثم انه بعد اطلاعه على شؤون الاجتماع ، وسياسة العصر ، وبتأثير مجالس المرحوم والده مع أصدقائه وقراءة الجرائد التي كانت تأتيه (وعنده بعض أعداد جريدة العروة الوثقى) ثم بتأثير صحبة استاذ العلامة الشيخ حسين الجسر ، ومطالعة المجالات العلمية كالمقتطف والطبيب ، مالت نفسه لإدخال المعاني العصرية في الشعر ، فكان مما نظم في ذلك القصيدة التي سميت (قصيدة الجاذبية) وقد نشر أبياتاً منها في المجلد الاول من المنار ، والقصيدة الجمالية التي خاطب بها السيد جمال الدين الافغاني في السنة التي جاء بها الاستانة ، ثم نشرها في المجلد الثاني من المنار ، والقصيدة الشرقية التي عاتب بها الشرق على تأخره عن الغرب .

وكان آخر ما نظمه من الشعر (المقصورة الرشيدية) التي عارض بها مقصورة ابن دريد ، وكان سبب نظمها اقتراح صنوه وزميله في طلب العلم ، ومذاكرات الادب ، الشيخ عبد القادر المغربي ، أن ينظم مقصورة يبنثه فيها بزفافه ، فنظم مائة بيت ونيف ، ثم بدا له أن يتسها في معارضته الدرديدية بإبداعها معاني كثيرة في فلسفة هذا العصر ، وفنون الادب والاجتماع المناسبة له ، ولا سيما الاصلاح الاسلامي الذي وقف كل حياته على السعي له ، ثم هاجر الى مصر لأجله^(١) .

محمد بن عبد الوهاب

يتبع:



(١) المنار والازهر (ص ١٨٤)

آراء وأخبار

هدية كريمة لمخطوطات قديمة

امتازت دار الكتب الظاهرية علي سائر دور الكتب المعروفة بنوادير مخطوطاتها القديمة في الحديث خاصة ، وبعضها بخطوط مؤلفيها ، والمخطوطة المخدومة تحتفظ بقيمتها العلمية وإن طبعت ، لأنها تعين على تصحيح اخواتها في البلدان الاخرى قبل طبعتها : إما بمعارضتهن عليها أو على نسخ خطية أو شمسية عنها ؛ وكثيراً ما يضطر العلماء الباحثون أو الطلاب الدارسون إلى مقابلة المطبوعة بالمخطوطة ، ولا سيما أن أكثر ما طبع في الشرق للتجارة كان طبعه بعيداً عن الضبط والاثقان ، فهو في حاجة حاقة الى المعارضة ليتمكن القارى من فهم النصوص ، وجل ما طبع كالعقد الفريد وزهر الآداب ووفيات الأعيان وغيرها لا يزال في حاجة إلى إعادة طبعه لكثرة ما يشوب هذه المطبوعات من التصحيف والتحريف .

من أجل ذلك كانت هدايا المخطوطات أسنى قيمة وأجل خظراً من المطبوعات ، ومن هذه الهدايا النفيسة للمخطوطات هدية كريمة لعضو مجمعنا العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار تشتمل على أربعة وعشرين مجلداً مخطوطاً كتبت في القرنين السابع والثامن : منها ١٧ مجلداً من صحيح البخاري ، وفي آخر بعضها سماعات للشيوخ وقراءات مفيدة ، ويتحلى بعضها بما فيه من العلام الدالة على الإثقان كعلامة الحموي وعلامة المستملي وعلامة مجموعتهما وعلامة

أبي الهيثم ، وبقية المجلدات في الفقه والأصول والكلام ، وفي بعضها حواش وتعليقات كثيرة ، فجزى الله الاستاذ البيطار رافع راية السلفية في هذه الديار عن السلف والخلف خيراً ، ومن الحق وعرفان الجميل أن ننشر جرده بأسماء كتب هديته الكريمة إلى دار الكتب الظاهرية وفي نشرها فوائد للعلماء والباحثين وهي :

- ١ - الجزء الأول من صحيح البخاري مشكول كله وعلمه تعليقات مفيدة آخره : باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله إلى قوله : كمل الجزء الأول من صحيح البخاري (ولم يعلم تاريخ نسخه) .
- ٢ - نسخة ثانية كتب في أولها : الجزء الأول من صحيح البخاري رحمه الله تعالى ورضي عنه آخره كتاب الهبة وهو مخروم من آخره .
- ٣ - جزء كبير جداً وفيه كراريس كثيرة شتى تحتاج إلى جمع وترتيب وفي آخره سماعات الشيوخ وكتب في القرن الثامن .
- ٤ - الجزء الأول من صحيح البخاري كتب على جلده : بينه وبين ما بعده نقص نحو كراس وعلمه سماع في القرن الثامن .
- ٥ - الجزء الثالث (كتاب) الهبة مخروم من آخره .
- ٦ - الجزء الثالث أيضاً أوله افتتبت بسم الله الرحمن الرحيم قال : مجاهد : مستمر : ذاهب وآخره : سورة الأنبياء عليهم السلام وهو مخروم من أوله وآخره .
- ٧ - الجزء الرابع من الصحيح مكتوب في أوله النصف الثاني من الربع الثاني كتب في آخره : آخر الجزء الثاني أنجزه كتابة محمد بن علي بن محمد يعرف بالهامي رحمه الله وكان ذلك يوم الأربعاء خامس وعشرين وثمان مائة للهجرة النبوية .
- ٨ - الجزء الثاني وأوله : باب القراءة في المغرب وآخره : باب غسل الخلق وهو بخط محمد بن علي الهامي المتقدم في ٢٥ شوال سنة ٨١٩ هـ وهو مقروء على الشيوخ ومضبوط بالشكل .
- ٩ - الجزء الخامس أوله قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم : وأقيموا الوزن .

بالقسط» وكتب في آخره : يتلوه إن شاء الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم :
كتاب الدعوات وذلك في شهر سنة ٨٦٣ . وفي آخره الحمد لله : بلغ الشيخ
كحل الدين أبو عبدالله محمد بن مفلح أعزه الله تعالى قراءة في شهر ربيع
الأول سنة ٨٩٦ بمدرسة الشيخ أبي عمر رحمه الله تعالى .

١٠- الجزء السادس من الجامع الصحيح . أوله : بسم الله الرحمن الرحيم
باب سورة المائدة . آخره باب قول الرجل لصاحبه هل أعرستم الليلة ؟ الخ . وكان
الفراغ منه علي يد الفقير المعترف بالتقصير يوسف بن محمد بن أحمد بن
الصيداوي ولم يؤرخ وكتب : يتلوه في السابع كتاب الطلاق .

١١- الجزء السادس أيضاً أوله بسم الله الرحمن الرحيم باب مناقب عمّار
آخره : يتلوه كتاب التفسير بخط ابراهيم بن ماجد بن عبدالله الرملي البردعي .
وهي نسخة مصححة وعليها سماعات وقراءات .

١٢- الجزء السابع وقف الفقير أبو بكر بن سعيد الطراباسي . أوله
كتاب التفسير باب ما جاء في فاتحة الكتاب وسميت ام الكتاب لانه يبدأ
بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة . وآخره : باب من لم يستطع
الباء فليصم ويتلوه باب كثرة النساء . وفي ذيله : الحمد لله بلغ صاحبه شمس
الدين أبو عبدالله محمد بن شرف الدين سعيد ابن السقا الطراباسي نزيل دمشق
أعزه الله قراءة في مجالس آخرها سنة أربعين وثمانمائة .

١٣- الظاهر أنه الجزء السادس وكتب في أول (ص) منه تاسع التاسع
وأوله كتاب الدعوات . وقول الله تعالى : « ادعوني أستجب لكم » . وآخره :
باب الرجم بالمصلى : أخرج ٩ يتلوه باب من أصاب ذنباً دون الحد وهو بخط
البردعي المقيم بدمشق الرملي .

٤ : - الجزء التاسع من صحيح البخاري وقف أحمد بن يحيى النجدية
والحل مدرسة أبي عمر في الصالحية . أوله : باب ولتسمعن من الذين أتوا
الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً . وآخره : باب المتعة التي
لم يفرض لها . ويتلوه (كتاب النفقات) نهار الجمعة سابع عشر شوال سنة ٨٣١ .

١٥- الجزء العاشر أوله : باب من أصاب ذنباً دون الحد فأخبر الامام فلا عقوبة عليه بعد التوبة إذا جاء مستفتياً الخ ٠٠ على يد ابراهيم بن ماجد بن عبدالله الرملي المقيم يومئذ بدمشق المحروسة ٢٦ شعبان سنة ٨٣٣ . آخره باب قول الله تعالى وتضع اوازين الى قوله . ص : كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبجمده سبحان الله العظيم .
آخر ج العاشر على يد ابراهيم الرملي سنة ٨٣٣ بلغ سماع الشيخ الطرابلسي أبو عبدالله محمد بن الشيخ سعيد الطرابلسي .

بالقطع الوسط

١٦- الجزآن الثاني عشر من كتاب الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه . أوله : بسم الله الرحمن الرحيم باب قصة فاطمة بنت قيس . وفي آخره : بلغ مقابلة والله الحمد والمنة . وقد فرغ من نسخه يوسف ابن محمد الحنفي الصالحى بدمشق بكرة الثلثا عاشر جمادى الآخرة سنة ٧٩٨ .
١٧- جزء من البخاري بقطع الوسط أوله كتاب الاستئذان باب بدء السلام وفي أوله ما يأتي :

هـ

م

س

ح

علامة الحموي علامة المستعالي علامة مجموعهما علامة أبي الهيثم
وقف المرحوم الشيخ حسن بن خادم الجديتي على مدرسة شيخ الاسلام أبي عمر بالصالحية قدس الله روحه . وفي آخره : كتاب الهبة وفضلها والتحرير عليها الخ . آخر المجلد الثاني من صحيح البخاري يتلوه في أول الثالث : باب من استوهب من أصحابه شيئاً . وكتب في آخر صفحة : بلغ وما قبله مقابلة متقنة محررة حسب الجهد والطاقة على نسخة الجامع الاموي المعروفة بنسخة الشيخ عماد الدين بن السراج على يد أفقر عباد الله الى رحمة ومغفرته محمد بن زكريا الخواري .

١٨- شرح المنهج للقاضي زكريا . مجلد ضخيم بالقطع الوسط مخروم

آخروه وعليه حواشٍ وتعليقات كثيرة .

- ١٩- كتاب تنوير الابصار وجامع البحار تأليف الشيخ شمس الدين محمد ابن الشيخ شهاب الدين بن قمر تاش الحنفي كتب بعد الألف (عقيدة الغيب) .
- ٢٠- جمع الجوامع وشرحه للمجلى في الاصول كتب بعد الألف .
- ٢١- الوقاية لصدر الشريعة .
- ٢٢- شرح السنوسية ٢٣- شرح الجوهرة ٢٤- حاشية الخيالي على العقائد .

حول تاريخ دمشق لابن عساكر

سأل الكتيبي المعروف بدمشق الاستاذ أحمد عبيد المستشرق الكبير سالم الكرنكوي السؤال الآتي :

هل في المتحف البريطاني نسخة من تاريخ دمشق لابن عساكر تكمل لحرم الذي وقع في النسخة المحفوظة في الظاهرية؟ فأجابه بما نصه :
انه ليست في بلادنا نسخة من هذا الجزء ، ولكني أعلم أنه في خزائن الاستانة عدة نسخ وهي هذه :

١- في خزانة عاطف أفندي رقم ١٨١٥ وهي المجلد الرابع من نسخة كاملة في ٧ مجلدات كتبت سنة ١١٥٥ تشمل على ٦٥٤ ورقة ، والترجمة الاولى : أبو بكر عبدالله بن بشر والاخيرة ترجمة عبيدة بن أشعب .

٢- خزانة داماد ابراهيم باشا رقم ٨٧٦ وهي المجلد الخامس من ١١ مجلدات كتبت سنة ١١٠٤ بتتدى بترجمة طاصم بن عبدالله الى عبدالله بن محمد بن وداد .

٣- خزانة داماد ابراهيم باشا رقم ٨٧٧ المجلد السادس من ترجمة عبدالله بن محمد بن شعيب الى ترجمة عبيد بن أحمد بن عبيد .

م ١٦

٤- طوب فابوسراي في ١٢ مجلداً رقم ٣٨٨٧ (المجلدات كلها تحت رقم واحد: ج ٥ من ترجمة شيدان بن الحارث النخعي الى ترجمة عبدالله بن العباس بن هاشم ٤٨٦؛ ورقة ج ٦ من ترجمة عبدالله بن عبد الرحمن بن يزيد الى ترجمة عبد الرحمن بن عمر الكاظمي ٤٤١؛ ورقة ج ٧ من ترجمة عبد الرحمن بن عبدالله بن المثنى الى ترجمة عدي بن حاتم الجوار ٤٧١ ورقة ٠ لا تاريخ لكتابة هذه المجلدات ٦ وقد وجد نيباخط مالكاها في سنة ١١١٥ . لو كتبتم الى الاستاذ ريتز لا أشك بأنه يبركم عن اجود نسخة إذ ليس لي معرفة أي النسخ أجود ٦ ولكن يسبق إلي ظني أن النسخة المحفوظة في السراي تفوق الاخرين ٦ ويمكن ان الاستاذ ريتز يحمل علي أخذ تصاوير شمسية للتراجم التي سقطت عن النسخة الظاهرية لأنني حصلت بواسطته الفوطوغرافات عن عدة كتب كبار لتطبع بعد التهذيب بمطبعة دائرة المعارف الواقعة في حيدرآباد من بلاد الهند .

أما النسخ الموجودة في لندرة فقد نشرت بيان ذلك في مجلة المجمع العلمي منذ سنين وفي المتحف البريطاني رقم ٥٣٨٩٧٣ نسخة في غاية الجودة بقلم المؤرخ الشهير محمد يوسف البرازلي بخط أندلسي كتبها في دمشق سنة ٦١٤ بتهدى بترجمة عبد الواحد زبد الى ترجمة عميدة بن أشعب .

ونسخة ثانية بقلم القاسم ابن المؤلف رقم ٩٠٥٣ قد نزع الخائن الذي سرق هذه النسخة من إحدى خزائن دمشق الورقة الاولى وهي من ترجمة لبطنة ابن الفزردق الى ترجمة محمد بن ادريس الشافعي الامام وهي صعبة القراءة لرداءة خط القاسم ٦ وفيها في الاول كل جزء سماع العلماء بينهم البرازلي المذكور . نسخة ثالثة قديمة رقم ٩٣٦٠ من ترجمة سعيد بن عطية الى ترجمة سماك ابن الاحوص . وهذا المجلد مطبوع .

نسخة رابعة رقم ٣٣٥٠ من ترجمة أبي مجلز لاحق بن حميد الى ترجمة يزيد ابن الأعم وهو يزيد بن عمرو كتبت سنة ١٠٠٠ وسبعمانه . نسخة خامسة رقم ٧٣٤٨ من ترجمة عمر بن الخطاب الى ترجمة عمرو بن بجر الجاحظ ثم نسختان رديئتان في عنوان الاولى ١٠٠٠ الجزء الاول (كذا) من

تاريخ ابن عساكر ، ولكن هي من أواخر التأليف إذ فيها الكنى واللقاب ،
والثانية بتدريء بترجمة الفرزدق الشاعر المشهور ولكن الكتب الجاهل كتب
فرودق بالواو كما ترى ، والترجمة الاخيرة ترجمة حواء أم البشر ، ولا فائدة في
النظر إلى هاتين النسختين لكثرة الاغلاط فيهما . . .

خريجو الزراعة في مصر

من أخبار مصر أن مصلحة الاملاك الاميرية انتهت في هذا الشهر من بحث
مشروع إقطاع الأراضي الزراعية في مصر لخريجي كليات الزراعة والمدارس
الزراعية المتوسطة ، ويقضي هذا المشروع المفيد بإعطاء خريج كلية الزراعة
٦٠ فدانا ، وخريج الزراعة المتوسطة ٤٠ فدانا بشروط سهلة على أن تؤدي
أثمان الأرضين في آجال طويلة .

ولعل هذا المشروع من أنعم المشاريع الزراعية وأشملها بركة على الأرض
وزارعائها ، ولا سيما العارفين بأصول زراعتها وإنباتها ، ويظهر أن رجال
الزراعة في مصر والشام مبتلون بمرض واحد ، وهو أن لا يملكوا من الأرض
شيئا ، فيضطرون الى هجر الارض والالتجاء إلى المدن طلبا لوظائف الحكومة ،
وقد يوجد اليوم في دمشق وأعمالها زمرة صالحة من علماء الزراعة ، وجلهم من
الموظفين الذين قد تجرد الجمهورية السورية من يخلفهم في وظائفهم ، ولكنها
لا تجد من يقوم مقامهم في إحياء موات الارض وإنعاش الزراعة في بلادها ،
فعمسى ان تحذو حكومتنا الشامية حذو الحكومة المصرية فتقطع خريجي
المدارس الزراعية فيها مقداراً كافياً من أملاك الدولة ، تستوفي في آجال طويلة
أثمانها ، وتنتفع حين تزرع وتغرس بما تجمععه من ضرائبها ، فتجني من جناها ،
وتغني بغناها .

مطبوعات حديثة

(١)
ابن عبد ربه وعقده

بقلم جبرائيل - اسحاق مبرور

يتم في ١٦٤ صفحة طبع بالمطبعة الكاثوليكية في بيروت

كتاب جيد الطبع على ورق صقيل قسمه مؤلفه الفاضل أقساماً خمسة :
تسكّم في الاول منها (١-٩) على مصادر الدرس الثلاثة في العقد الفريد نفسه وشعر
ابن عبد ربه ثم ما كتبه المؤرخون عنه . وقصر القسم الثاني (ص ٩-٢٩) على حياة
ابن عبد ربه فونهاها من الإسهاب والتحقيق ما أسعفت به المصادر المتيسرة للمؤلف .
ثم بحث في القسم الثالث (ص ٢٩-١١٧) عن كتاب العقد فحلله فأحسن تحميّله
وذكر المصادر التي استقى منها مؤلفه وتعرض لقيّمته من حيث التاريخ والدين والادب
وأهمّ التحقيقات في هذا القسم ما تعلق بتسميته (العقد الفريد) وما دس في الكتاب
على مؤلفه أو زيد بعد موته . ووقف القسم الرابع (ص ١١٧-١٢٣) على أثر ابن
عبد ربه ٦ والقسم الخامس (١٢٣-١٥٣) على شعره في مختلف الفنون . وختم
الكتاب بفهرس منظم للاعلام الواردة فيه .

هذا وصف مجمل لبحوث الكتاب وسأشرع في الكلام على ما يلاحظ عليه باجمال
تبعاً ترتيب الصفحات :

١- استدل المؤلف (ص ١٨ وما قبلها) على أن صاحب العقد « كان يشرب
الخمر ويحبها ويدعو اليها » بأشعار له في ذكر الخمر وصفتها والثناء عليها . ونريد هنا أن
(١) المجلة : كان هذا الكتاب قد أرسل للمجمع للتقرير وقد عثرنا عليه أخيراً
فلم نغفله من تقريرنا ولو متأخراً .

نذبه إلى أن هذا شائع عند عامة الشعراء حتى الفقهاء منهم . فمن لوازم الشعر صفة النساء والخمر وإنا نخطئ كثيراً إذا اعتمدنا في درس حياة شاعر على ما يذكر في شعره من حب للنساء والخمر أو تمدح بالشجاعة وعفة النفس . والبون شائع بين أقوال الشعراء عندنا وأفعالهم . نذ الجاهلية حتى اليوم والذي ثبت شرب الخمر على صاحب العقد خبر ما ثور أو رواية مشهورة .

٢ - ليس للمؤلف أن يأخذ برواية (Ribera) (ص ٢٢) ما لم يعلم المصدر الذي استند إليه فكثيراً ما يكون نصيب خطرات النفس وجمجات الخيال أكثر من نصيب الحقيقة فيما يكتب أهل الغرب عن الشرق .

٣ - زعم المؤلف (ص ٥٣) ان ابن عبد ربه « لم يستطع أن يتجرد من بعض النزعات والبول ولم يتجنب كثيراً من الأغلاط التي ارتكبها غيره » وأرسل حكيمه هذا مجرداً عن الشاهد فلم يذكر شيئاً من النزعات التي سيطرت عليه ولم يلم بشيء من الاغلاط الكثيرة التي ارتكبها . والمؤرخ لا يرسل حكماً غفلاً من الشاهد والدليلين .

٤ - عقد فصلاً بعنوان « نظره كسمل الى النصرارى في الاندلس ص ٧٥ » فقرأناه فإذا به لا يتعلق بالنصارى ولكن بالفرنح (الاسبان) أعداء الدولة العربية فوصف الفرنج بالنصارى يصرف الذهن إلى أشياء لم يردها المؤلف . وإنما يرد على الخاطر حين تلاوة هذا العنوان الذي يهين الذين لهم ما للمسلمين وعاليهم ما عاليهم . وكنا نود أن يكون المؤلف دقيقاً في وضع الكلمة مواضعها .

٥ - عرض المؤلف ص ٨٠ للقصة التي كانت بين صاحب العقد والقلنقاط الشاعر واحتشم عن روايتها فقال « نسكت عن ذكرها لما فيها من بذيء اللفظ . . . » وليس بلائق أن نذكر هنا هذه القصص « وتأخذ عليه أمرين أما الأول فإنه لم يسكت عن ذكرها وأتى العمل الذي رآه غير لائق حين ذكر البيت :

يا غرس أحمد إني مزرع سفرأ فودعيني سرأ من أبي عمرا !

ثم دل القارئ على المصدر حيث يرى القصة بتفاصيلها فلم نستفد شيئاً من هذه المظاهرة الوردية ! إلا تشويق القارئ إلى معرفتها فلورواها . كان الخطب أيسر . وأما الثاني فهو ان الامانة تقضي على من يتصنى لشرح مناحبه من تاريخ الاديب

٦- أن يؤدي الاشياء على حقائقها التي هي عليها لأنه مؤرخ لا رجل نقاليد ورياء .
قال ص ٨٤: « إن ابن عبد ربه كان مولعاً بوجه عام في المعارضة سواء أكان فيها انتقاد أم لم يكن . وقد كان في كثير من شعره الذي ذكره في العقد معارضاً لشعراء تقدموه . الخ » وظاهر أن المؤلف فهم من معنى معارضة الشعر : الانتقاد وليس كذلك وإنما المعارضة أن يجري الشاعر مع شاعر آخر في وزن قصيدته ورويها وموضوعها . وهي شائعة معروفة .

٧- استدلل المؤلف من عدم ذكر توقيعات لأحد بعد المأمون على « أن الذي دس في المواضع السابقة قد فاته الدس هنا . وإن وقوف ابن عبد ربه عند المأمون ليحمانا على الظن أن أكثر الاخبار التي وردت في العقد عن خلفاء بني العباس ممن عقب المأمون دس على ابن عبد ربه الخ » ولا يرد هذا كله لأنه من المعروف أنه ليس لأحد بعد المأمون توقيع يوثق ويروى لضعف ملكات خلفاء بعده وقلة بضاعتهم من علوم العربية .

٨- وازن بين نثر ابن قتيبة ونثر ابن عبد ربه وذكر نماذج ثم ذهب إلى تفضيل الثاني على الأول ص ١١٩ . والذي نراه نحن أن الامر على العكس وإن النماذج نفسها التي أوردها لا تؤيد رأيه . ويرد الامر في ذلك إلى الذوق والملاكمة ولكل امرئ منها ما رزق .

٩- في الكتاب تطويل كان يحسن أن يتجرد منه . فالفصل الذي عقده لتشيع ابن عبد ربه والذي ملأ عشر صفحات (ص ٦١ - ٧٠) لا يحصل له ، وهو غير وارد: لأن التشيع مفهومًا اصطلاحياً لا يتحقق منه شيء في صاحب العقد ولا يشارك الشيعة في شيء من عقائدهم ولا تبرئهم من بعض الصحابة وكل ما في الأمر أنه يجب آل البيت ويشيد بذكرهم ومناقبتهم الصحيحة وهذا يشاركه فيه كل مسلم والغريب أن المؤلف نفسه بعد أن يسود هذه الصفحات العشر يشعر بما قد فعلنا فيختم فصله بهذه الجملة : « ولعل تشيع ابن عبد ربه من النوع المعروف (بالتشيع الحسن) » .

وكذلك الامر في فصل « نزعة المغربية ص ٧٤ - ٧٥ » فكان من الخير أن يطويه برمته إذ لا نزعة مغربية عند صاحب العقد كما قرر المؤلف نفسه .

وإحقق بما أقدم فصل (نظره كمولى الى العرب ص ٧٧-٨٠) الذي حشر فيه المؤلف شبه شواهد لا تدل على شيء . أبدأ نقاها ابن عبد ربه وتكاد تكون في كل كتاب أدب وخاصة قصة الفقهاء الموالى فإن روايتها لا تدل على شيء في نفس ابن عبد ربه . والمؤلف نفسه يعترف بأنه لا يستطيع أن يجزم لأن صاحب العقد ناقلاً راور ليس إلا . نفيم هذا التطويل اذن ؟

وهناك عدا هذه الفصول التي يجب حذفها تطويلات اخر نذكر منها مثالين :
الاول : أن حاشيته على كلمة الصاحب « هذه بضاعتنا ردت الينا » من التكلف الذي لا داعي له إلا حب الاطالة فليس من فائدة للقارئ في رجوعه الى سورة يوسف .
والثاني انه أعاد رواية واحدة لابن خلكان مرتين في عشرة اسطر ص (١٢٥) .
١٠ - كنا نحب للمؤلف أن يفرض كتابه على استاذ بصير يصلح له لغته ، وإليك نماذج من غلطات الكتاب :

ض	الخطأ	الضواب
١	المشهير	المشهور
٢٤٦١٥٤١٣٦١	بالاخص	خصوصاً
١	بالأخيرة	بالأخير
»	قدميتها	قدمها (لا لزوم للنسبة وإن كانت غير خطأ)
»	أثرت علي	أثرت في
٥٠٦٢١٦٢	كما وأن	كما أن
٣	كلاهما قد استقيا	كلاهما قد استقيا
»	لاسيما وقد	وقد (لاسيما لا يجوز أن تأتي بعدها الواو)
٤	لاسيما ونحن	ونحن
٤	وبالتالي لا نعلم	ولا نعلم
١١٦١٠	عائلة	أسرة
٢٠٦١١	عاصر	أدرك

صواب	خطأ	ص	الصواب	الخطأ	هن
صواب	خطأ	ص	الصواب	الخطأ	هن
بني العباس	بني هاشم	٨٨	وقتما لا بأس به	وقتما كافياً أو صالحاً	١٥
أتمتع بك	أتمتع لك	٩٥	المرجح عندنا نعم	المرجح عندنا أنه كاد	»
فهل لاحدى هاتين	فهل لاي من هاتيه	١١٤	يشربها (لا يقع الحرف خيراً)		
وها أناذا	وما أنا	١٢٤	نعلمها درر	دور	٣٦
وها هي ذي أمامي	» وهاأمامي صفحة		يخطئه	يخطأه	٤٣
صفحة			وغيرها	وغيرها	٤٦
يحيط بها	يحيطها	١٢٦	أماز عن تفرد (أوناق علي)		٥٠
ذو نفس الخ	(إنه) ذانفس	١٤٣	عدا ما	عدا عما	٥١

وقد تجتمع الخمس من هذه الغايات في بعض صفحة وتكون اثنتان في السطر

الواحد ٠٠٠

- ١١- فنتمنى أن يعاد طبع الكتاب وأن يزيدنا المؤلف بياناً عن ميزات الطبعات المختلفة للمقد كما أننا نلقت نظره الى ان صاحب العقد كثيراً ما يقول وفي كتاب لاهند ثم ينقل نصوصاً هي في كماله ودمنة التي بايدي الناس اليوم انظر على سبيل المثال (٣٧:١) ، (٣١:٢) ، (٤٣:٢) الخ^(١) وهي مسألة جديرة بالدرس والبحث .
- ١٢- عرضت أكثر ملاحظاتي لان الموضوع دام والكتاب نفيس مفيد والجهود المبذولة في تأليفه كبيرة مع اني كنت أود لو تريت في طبعه وتروى أكثر وأنا أرجو للكتاب الزواج وللحرف الفاضل اطراد النجاح وأن يتدارك هذه العيوب في طبعة ثانية إن شاء الله .

سعيد الرفاعي

١



(١) العقد الفريد: المطبعة الأزهرية ، الطبعة الثانية سنة ١٣٤٦ هـ .

الشمس الأبجدي العام للمجلد الخامس عشر

	<u>صفحة</u>
* حرف الألف *	
آراء وأخبار	٣٩٨
ابن سينا « كتاب »	١٢٠
ابن عبد ربه وعقده « كتاب »	٤٨٨
أثر الرحلة في الحياة العلمية والادبية	٢٨٥
أثر المجمع العلمي في نهضة الشام العلمية والأدبية	٣٧٩
أخبار النحويين البصرين للامام السهرافي « كتاب »	١٥٨
أسواق العرب « كتاب »	٢٤٤
أغلاط دائرة المعارف الاسلامية	٣١١
الاعتداء الى قبر معاوية بن أبي سفيان بدمشق	٤٦٦
* حرف الباء *	
بجث في اللغة العربية	٢٥٢
بجر العوام فيما أصاب فيه العوام	٨٥-١٦٥-٤٠١
* حرف التاء *	
تأملات عامة في اللهجات العربية	١٤٠
تطور دور الكتب العربية العامة	٣٨٨
التنظيمات الجديدة لدار الكتب الظاهرية	٣٩١
* حرف الجيم *	
جولة في مدارس اليمن	٤٤٤

	<u>صفحة</u>
* حرف الحاء *	
حفلة افتتاح دار الكتب الخلية	٣١٤
حفلة افتتاح دار الكتب الظاهرية	٣٩٩
حول تاريخ دمشق لابن عساكر	٤١٥
حول مقالة الطموح عند المتنبّي	٧٨
الحياة الزراعية «مجلة»	٤١١
* حرف الخاء *	
خريجو الزراعة في مصر	٤٨٧
* حرف الدال *	
دور الكتب في حلب قديماً وحديثاً «محاضرة»	٢٩٩
ديوان البراعم «كتاب»	٣٣١
ديوان الوليد بن يزيد	١٥٥-٣٤
* حرف الراء *	
رجاء عالمي	٣١٣
رسالة تاريخية	٢٣١
* حرف السين *	
السيد رشيد رضا وإخاء أربعمائة سنة «كتاب»	٣١٥
* حرف الصاد *	
الصحافة في طرابلس الغرب	٤٤٤
* حرف الطاء *	
طرائف لغوية	٢٦٩
* حرف العين *	
عدي بن الرقاع العاملي	٢٤٥-٣٤٥-٤٥٠

	<u>صفحة</u>
* حرف القاف *	
قصيدة كاتم سر المجمع في الأمير شكيب	٣٩٤
قل كريات بيضاء	١٥٥
* حرف الكاف *	
كافور وسيف الدولة	٣٢٤
كتاب في الشطرنج « كتاب »	٤٠٢
كتاب المثني « كتاب »	٤١٢
كتاب الورقة لمحمد بن داود بن الجراح	٣٣٥
كتب الدراسة للعلوم العربية في افريقية الشمالية	٥٩
كلمة الاستاذ البيطار في الامير شكيب	٣٩٦
* حرف اللام *	
اللغة العربية في عصبة الامم	٤٠٠
اللغة العربية في محطات الاذاعة البريطانية	٤٠٠
لغة المتنبى	٣٧٥
* حرف الميم *	
محاضرات في تاريخ لغة العرب	٢١٦-٦٩
محاضرة الامير شكيب أرسلان	٣٩٩
المحجة البيضاء في صحة نعت الجموع بفعلاء « كتاب »	٤٠٥
المصاب العام بوفاة السيد الامام محمد رشيد رضا	٤٧٤-٢٦٥
المصدر اليائي	١٤٥
معالم السنن للخطابي « كتاب »	٢٥١
المعجمية العربية في ضوء الثنائية والالسانية العامة	٣٤١
مناظرة لغوية أدبية « كتاب »	٤٠٨
منح رتبين علميتين	١٥٢

	<u>صفحة</u>
حرف النون	
نظريات الاقتصاد عند البيروني	٤٥٦
نهضة العرب العلمية في القرن الاخير (محاضرة)	٤١٥
حرف الهاء	
هدية كريمة لمخطوطات قديمة	٤٨١
حرف الواو	
وفاة السيد مصطفى صادق الرافعي	٣١١

